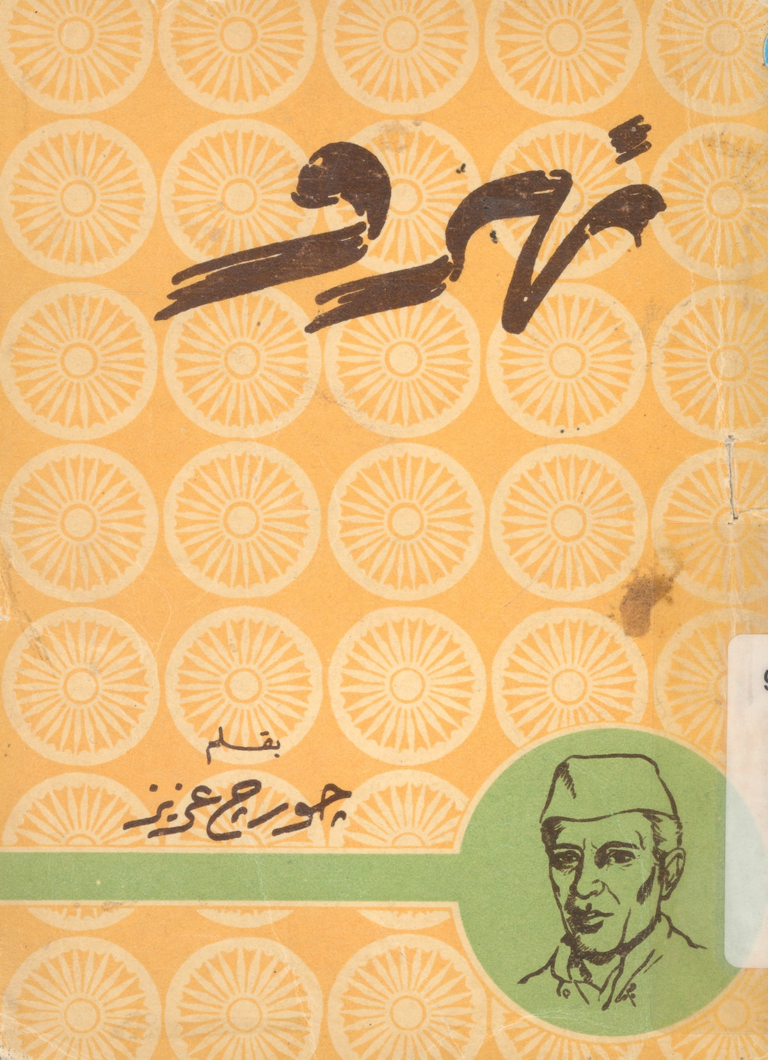


نہرو
بقلم
جورج عزیز

جواهر لال



بقلم
جورج عزيز

الى روح غاندى

ج • ع

شكرا ...

شكرا قلبيا جزيلا لشريكة حياتى ، فقد شجعتنى على أن أخرج هذا الكتاب فى أوقات الفراغ ، وهى أوقات جد ضيقة ، وهيأت لى الجو الذى تتطلبه القراءة ويقتضيه البحث والتبويب والتنسيق ...

وشـكرا لابنتى ((نادية)) فهى تحرص على ألا تزعجنى حين ترانى غارقا فى القراءة ، أو مكبا على الكتابة ، وان كانت لا تدخر وسـعا لازعاجى حين تلقانى مستلقيا أو جالسـا أطلق لأحلامى وأفكارى العنان ...

ثم شـكرا لابنى ((مجدى)) الذى يأبى الا أن يشجعنى على طريقته الخاصة ، فهو يسرع الى قلمه وكراسته كلما رآنى جالسا أكتب ، وكأنه يريد أن يقول لى : ((ومن شابه أباه فما ظلم)) ... ولكنه لا يصمت ، بل يمطرنى وابلا من الاسئلة الاستطلاعية لولاها لفرغت من الكتابة فى نصف المدة ...

نوفمبر ١٩٥٣

ج • ع

الزعيم الانسانى

عسير على الكاتب أن يحكم للأحياء من الرجال البارزين أو عليهم ، وعسير عليه أن يحدد أماكنهم بين أقرانهم من كبار المفكرين ، وأن يجلو سلوكهم وميولهم ونزواتهم ، ويميط اللثام عن اتجاهاتهم وأهدافهم الحقيقية

هذا ينطبق ، أكثر ما ينطبق ، على رجل يكافح من أجل مبادىء لا يرضى عنها بديلا على الاطلاق

قد يحاول مريدوه والمعجبون به أن يضعوه فوق مستوى البشر ، وقد يحاول خصومه السياسيون أن يقللوا من شأنه ، ويحطوا من قدره بالكشف عن أخطائه وعثراته

وهذه الحقائق لا مفر من أن ينطوى عليها ، شعوريا أو لا شعوريا على حد تعبير علماء النفس ، ما يكتبه أى مؤلف يعمد الى عرض صورة لنهرو الزعيم السياسى

فاذا كان الكاتب خصما سياسيا فقد لا يتردد فى أن يرمى « نهرو » بالديماجوجية ، اى التهريج والسعى بكل الوسائل الرخيصة الى استرضاء الجماهير لتزعمها

أما اذا كان الكاتب من المريدين أو المعجبين فقد يصفه بأنه ضحية على مذبح الاستقلال الهندى

وأنا لست خصما سياسيا لنهرو ، ومن ثم لاينبغى للقارىء أن يتوقع منى أن أرميه بالديماجوجية ، فقد قرأت مرتين الكتاب الضخم النفيس الذى وضعه عن حياته ، وخرجت منه برأى فيه هو انه أنبل نفسا ، وأسمى غاية ، من أن يعمد الى الوسائل الرخيصة لاسترضاء الجماهير

ثم قرأت معظم الكتب التى فاضت بها عبقريته ، وعشرات الخطب التى ألقاها فى الهند وفى بعض عواصم العالم ، والكتب التى وضعت عن شخصيته ، وخلقه ، وتربيته ، ونضاله المرير مع أستاذه «غاندى» من أجل استقلال الهند وحريتها ، وأهدافه ومثله العليا فى الحياة ، فأيقنت انه رجل توافرت له مقومات

الشخصية الفذة بكل ما تنطوى عليه هذه الكلمة من معنى ، واتضح لى انه قلب كبير ، وان نفسه مزيج من القوة التى لايشوبها الطغيان ، القوة المتجهة الى الخير على الدوام ، ومن اللين الذى يكمله الحزم ، ومن التسامح الذى لا يبلغ حد الاسراف الوخيم العاقبة

رأى شاعر الهند الاكبر

وفهمت بعد هذا كله قول شاعر الهند الاكبر رابندرانات تاجور « من حق جواهر لال أن يتربع على عرش الهند الفتية . أن دوره لعظيم . ليس فى عزيمته تردد أو وهن ، وهو ذو شجاعة لا تروض أو تقهر . وان ما يرتفع به الى أرفع منزلة هو تعلقه الذى لا تردد فيه ولا تذبذب بالحقيقة والخلق الكريم . لقد دعم الطهر وصفاء النفس فى معترك الاضطراب السياسى حيث تقضى خيبة الأمل ، بما قد تنطوى عليه من ضلال ، على الاستقامة والنزاهة والذمة . لم يتهرب جواهر لال قط من الحقيقة حين جرت معها الخطر ، ولم يحالف الزور والنفاق والبهتان ولو كان له فيها نفع أو مغنم . لقد اتجه ذهنه المشرق اللامع دائما الى النفور الصريح من طريق الدبلوماسية حيث يكون النجاح سهلا رخيصا . هذا الباعث النقى ، وهذا السعى الثابت الى الحقيقة هما أعظم

ما ساهم به « جواهر لال » فى النضال من أجل الحرية »

حكم الروح العظيم

واليك حكم غاندى « . . ينشد لبلاده ما تستطيع أن تفعله فقط . وهو سياسى عملى ، يروض مثله العليا لتلائم بيئته . ولكنه ، فيما بينه وبين نفسه ، رجل مثالى لايدخر وسعا فى سبيل الذود عن مبادئه . يحق لشباب هذه البلاد أن يفخروا بمندوبهم ، وللأمة أن تسعد اذ تجد فى « جواهر لال » ابنا نبيلا جديرا بها »

ومن الخير كل الخير أن تعرف رأى أقرب الناس اليه ، رأى أخته وتلميذته فى الحياة والسياسة « فيجايا لاكشمى بانديت » حتى تكتمل الصورة ما أمكن ، وتزداد وضوحا بقدر المستطاع

وأنا ، اذ أسوق اليك هذا الرأى ، أعرف انك ستقف عليه معتقدا ان فيه مبالغة تمليها الاخوة ، ويفرضها اعجاب التلميذة بالاستاذ ، ولكن يقينى انك ستجد فى كلام « فيجايا » محاولة صادقة للتصوير الدقيق الامين ، واتجاها قوامه الاخلاص الى التعبير البعيد عن المبالغة والاسراف

« ليس من اليسير أن يكتب المرء عن أخيه ، ويزداد الأمر عسرا اذا كان هذا الأخ مثال البطولة للكاتب »

بهذا الاستهلال البارع تعترف « فيجايا » بدقة مركزها وحرجها اذ تحاول الكتابة عن أخيها

ثم تقول فى عبارة طلية وأسلوب عذب :

« جواهر لال » انسان نادر ، ولكنه كما قالت فرنسيس جنتر فى براعة « نادر بمعنى أن النتاج الاصيل نادر لسبب ما » . انه من أعظم الرجال الذين أنجبهم العصر الحديث ، وبطل يناضل من أجل الشعوب المستضعفة المضطهدة المظلومة فى كل مكان ، ومدافع وفى مخلص عن المبادىء الديموقراطية ، ورجل ذو شجاعة خارقة ، وروح مشوبة بذكاء تذكرك بسيف من الصلب البراق ، ماض ، وصادق ، وقوى العزيمة . انه حبيب الشعب ، ومحبوب الى حد العبادة تقريبا . انه الرجل الوحيد فى الهند ـ اذا استثنينا المهاتما غاندى ـ الذى أصبح بالنسبة لعشرات من الملايين شخصية أسطورية تحف بها هالة من الخيال ، وهو يخلف وراءه ، حيثما ذهب ، اسطورة . ولكنه مع هذا كله ، شخصية عركتها الحياة بمآسيها

وتمضى « فيجايا » قائلة :

« ومرد عظمته الى ان الشدائد لا تثبط روحه . .

وهو محارب سعيد فى الازمات ، ولكنه فوق كل هذا انســان ، ولهذا يحبه كل من يعرفه على حقيقته . ولكى يراه المرء فى خير حال ينبغى له أن يراقبه فى دائرة الأسرة . أنصت الى الضـحك والمرح يملآن الغرفة حين يكون فيها . أنظر اليه وهو يلعب مع الاطفال ، وتطلع الى قسمات وجهــه وهو يمد يد المساعدة الى مريض ، عندئذ ترى الرجل على حقيقته ، وتدرك بنظرة خاطفة القوة العجيبة التى تمكنه من الافضاء الى مشاعر الآخرين ، ومشاطرتهم افراحهم وآلامهم فى عمق ، وتدرك كذلك قوته وعمق حبه »

يؤثر الوحدة

« ان جواهر لال يؤثر الوحدة والعزلة . تطلع اليه حين يستغرق فى التفكير . ان عينيه تشخصان الى المستقبل ، انهما عينان حزينتان فى وجه شــاحب مقطب . ماذا يرى ، وفيم يفكر ؟ ان الاشياء التى أضاع من أجلها أحسن سنى حياته تتحطم حوله ، والمثل العليا تمزق بلا شفقة أو رحمة ، والعالم غارق فى الحقد والقسوة والجهل . ومع هــذا يدرك المرء بفطرته ان جواهر لال لايمكن أن يروض، وانه يخترق ببصره الظلام ليرى النظام الدولى الجديد الذى يجب

أن يجيء ، والذى يعد هو رمزا له . ان ايمانه ماض فى الهامنا ، وقد ثبت تصميمنا »

والآن اليك ما كتبته عنه « الأهرام » فى العــدد الخاص الذى أصدرته عن « الهند وصناعاتها » فى أغسطس سنة ١٩٥٣ :

« وجواهر لال نهرو رجل جذاب فياض الجاذبية ، محبوب كل المحبة ، أما سر هذا السحر فمرده الى صفاء روحه ، وصدق طويته ، ونبل مقاصده . وفى شجاع ، لايباريه مبار فى وفائه وشجاعته ، صريح لايعرف التعمية ولا المواربة ، ينافح عن عقيدته ، ويستبسل فى سبيل نصرتها والثبات عليها مهما كان الثمن »

« ومظهر نهرو ارستقراطى صرف . قسمات وجهه واضحة مرهفة ، ومع هذا المظهر الارستقراطى لن تجد انسانا أرضى من نهرو نفسا ، ولا أبهج خاطرا فى غمار الجماهير ، فما أن يتحلقوا حوله حتى يشرق وجهه بشرا ، وتعلو ثغره ابتسامة هانئة . وليس نهرو بالخطيب المفوه ، ولكنه حين يتحدث لا يلتزم الاساليب المعتادة ، بل يرسل نفسه على سجيتها ، فاذا كلماته المرتجلة لا تخطىء طريقهــا الى قلوب سامعيه . »

« وهو انسان موفور الانسانية . تستهويه الجبال والطيور والحيوان والاطفال . وليس أبغض عنده من الظلم والقسوة ، وقصور الهمة ، وخرق الرأى »

نهرو يصور نفسه

وأخيرا لندع « نهرو » يصور نفسه بقلمه الجبار ، واسلوبه الرائع ، وطريقته الخلابة فى العرض ، فقد نشر منذ أعوام فصلا عن نفسه وقعه باسم مستعار هو « شاناكيا » وقال فيه :

« راشترإباتى جواهر لال كيجى ! رفع راشترإباتى بصره وهو يخترق بسرعة صفوف الجماهير المنتظرة ، ورفع يديه وضمهما محييا ، وأضاءت وجهه الشاحب المقطب ابتسامة . لقد كانت بسمة حارة شخصية ، استجاب لها على الفور الناس الذين رأوها ، فابتسموا وهللوا »

« وزالت الابتسامة ، ومرة أخرى أصبح الوجه عابسا حزينا ، جامدا ، فى وسط الحركة العاطفية التى أثارتها الابتسامة فى الجماهير . وبدا كأن الابتسامة والحركة التى اقترنت بها كانتا مفتعلتين ، أو كانتا من قبيل الحيلة للظفر بعطف الجماهير التى كان قد أضحى حبيبها . هل كان الأمر كذلك ؟ »

« أنظر اليه مرة أخرى . هنـــاك موكب كبير ، وعشرات الألوف من الاشخاص يحيطون بسيارته ، ويهتفون له فى نشوة روحية . انه واقف على مقعد سيارته ، يحاول المحافظة على توازنه .. ومرة أخرى تعود الابتسامة وتتحول الى ضحكة سعيدة ، ويبدو لك ان التوتر أوشك أن يزول ، وتضحك الجماهير معه دون أن تعرف لماذا يضحك .. انه بشر يؤكد صلته بآلاف الأشخاص الذين يحيطون به ، وزمالته لهم ، وتشعر الجماهير بالسعادة والود فيظفر بقلوبها . بيد أن الابتسامة زالت ، وعاد مرة أخرى ذلك الوجه العابس الشاحب ... »

« هل هذا كله طبيعى ، أم هو حيلة وخداع يفكر فيهما ويدبرهما رجل الجماهير ؟ قد يكون طبيعيا ، وقد يكون خداعا فى وقت واحد .. ولكن جواهر لال تعلم أن يمثل دون أن يصبغ وجهه بألوان التمثيل »

« ان أمثال جواهر لال من الرجال القادرين على الاضطلاع بالمهام الكبرى لايشعرون بالطمأنينـــة فى الديموقراطيـــة . انه يدعو نفسه ديموقراطيـــا واشتراكيا ، ولا شك فى انه يفعل ذلك بكل اخلاص ، بيد أن علماء النفس يعرفون ان العقل فى النهاية عبد

القلب ، وان المنطق يمكن أن يروض بحيث يتفق مع رغبات الانسان ودوافعه البعيدة عن الشعور بالمسئولية . ان انحرافا بسيطا قد يجعل من جواهر لال دكتاتورا يكتسح الديموقراطية البطيئة الحركة ، وقد يظل يستخدم لغة الديموقراطية والاشتراكية »

« ولكن من المحقق ان جواهر لال ليس فاشيا لا باقتناعه ولا طبعه .. ولا يمكن أن يصبح فاشيا ، وان كانت مقومات الدكتاتور متوافرة له : شعبية واسعة ، وارادة قوية موجهة الى غاية محددة تحديدا دقيقا ، وحيوية وكبرياء ، وقدرة على التنظيم ، وكفاية ، وجلد ، وحب للجماهير ، وشيء من الازدراء بالمتوانين وغير الاكفاء .. ان غضباته وانفعالاته معروفة ، وحين يحاول السيطرة على نفسه يخونه التواء شفتيه . ان رغبته العارمة فى انجاز الأمور ، وهدم ما لا يعجبه وبنائه من جديد ، قد لايطيقان طويلا وسائل الديموقراطية البطيئة . قد يستبقى الغلاف ، ولكنه يحاول أن يثنيه طبقا لارادته . فى الاحوال العادية يكون مديرا كفؤا ناجحا ، ولكن فى هذه الفترة الثورية تظل القيصرية على الابواب ، أليس من الممكن أن يتصور جواهر لال نفسه قيصرا ؟ »

« هنا يكمن الخطر بالنسبة الى جواهر لال والهند، اذ ان الهنـــد لايمكن أن تظفر بالحرية عن طريق القيصرية .. وجواهر لال لا يستطيع الاســتمتاع بالراحة لأن من يمتطى نمرا لايستطيع الترجل ! »

لقد صدق « غاندى » حين قال عنه :

« ان قوميته تعدل دوليته ، اشتراكى صادق فى اشتراكيته »

من الله آباد الى كمبردج

ولد « جواهر لال » بمدينة الله أباد فى الرابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٨٨٩ ، ولم يكن له فى طفولته أصدقاء أو زملاء اذ لم يلحق بمدرسة ، وانما عهد الى أساتذة خصوصيين أمر تنشئته وتهذيبه

كتب يؤرخ لنفسه فقال :

« ان ابنا وحيدا لأبوين موسرين يكون على الدوام معرضا للفساد ، ولا سيما فى الهند . ويتضاءل الأمل فى انقاذه من الفساد اذا ظل ابنا وحيدا خلال الأحد عشر عاما الأولى من حياته . وأختاى أصغر منى بكثير ، وبين كل اثنين منا أعوام طويلة ، ومن ثم

شببت ، وقضيت سنى حياتى الأولى فى شبه وحدة ، ولم يكن لى صحاب من سنى . وحتى زمالة الاطفال فى المدرسة لم تتح لى ، اذ لم أرسل الى أية روضة أطفال أو مدرسة ابتدائية . وكان يشرف على تعليمى مربيات أو مؤدبون خصوصيون »

« ولم تكن دارنا مكانا موحشا ، اذ كانت تأوى أسرة كبيرة من الأقارب ، كما هى العادة فى الأسر الهندية . بيد أن أبناء أعمامى وأخوالى كانوا يكبروننى سنا بكثير ، وكانوا طلبة فى المدارس الثانوية أو فى الجامعة ، وكانوا يعدوننى أصغر من أن أستطيع العمل أو اللعب معهم . وهكذا كنت أحس الوحدة وسط تلك الأسرة الكبيرة ، وأترك لأوهامى وأهوائى وألعابى الانفرادية »

« كنت أصغى الى أحاديث أبناء أعمامى وأخوالى الكبار دون أن أفهم منها شيئا فى كثير من الأحيان . وكثيرا ما كانت أحاديثهم تدور حول غطرسة الانجليز و « الانجلوانديان » وصلفهم وسلوكهم الاستفزازى حيال الهنود ، وحول واجب كل هندى أن يقاوم هذا والا يسمح به »

« وثمة حقيقة فظيعة وهى انه اذا قتل انجليزى

هنديا يراه قاض من بنى وطنه . وفى القطارات كانت تحجز دواوين خاصـــة للأوربيين ، ولم يكن يسمح لهنـــدى بالدخول فى تلك الدواوين ، خاليـــة كانت القطارات أو مزدحمة . واذا كان هنالك ديوان غير محجوز فان أى انجليزى لا يتردد فى الاستيلاء عليه ومنع الهنود من الدخول . وفى الحدائق العامة وغيرها من الاماكن كانت المقاعد والكراسى تحجز للأوربيين . وقد امتلأت نفسى بالحنق على حكام بلادى الاجانب الذين كانوا يسلكون على هذا النحو المعيب ، وكنت اشعر بالسعادة كلما رأيت هنديا يقاوم »

تأثره بثلاثة أشخاص

وقد تأثر «نهرو» فى حداثته بثلاثة أشخاص، أولهم موتيلال نهرو ، ذلك الوطنى الغيور ، والمحامى الناجح الموفق

وهو فى هذا يقول : « كنت شديد الاعجاب بأبى ، فقد كان يبـــدو لى أقوى واشجع واكفأ وأبرع من الأشخاص الآخرين الذين رأيتهم ، وكان كل أملى أن أصبح مثله عندما أكبر . لكنى كنت أخشاه بقدر ما كنت أعجب به وأحبه . كنت أراه يثور على الخدم

وغيرهم ، وكان يبدو لى مخيفا ، وكنت أرتعد خوفا ، وكان يشوب هذا الخوف ، فى بعض الأحيان ، شعور بالإستياء من معاملته الخدم على هذا النحو . ولكنه كان ، لحسن الحظ ، خفيف الظل ، ميالا الى المزاح ، ذا ارادة حديدية ، وكان ، بوجه عام ، يستطيع السيطرة على نفسه »

ولم يكن حب نهرو لأمه أقل عمقا من حبه لأبيه

والرجل الثانى الذى تأثر به نهرو فى حداثته هو مساعد أبيه « منشى مبارك على »

وهو يحدثنا عنه فيقول : « كان من أسرة محترمة من بادون . وقد نكبت الأسرة فى ثورة عام ١٨٥٧ ، وأبادت القوات الانجليزية فريقا من أعضائها . وقد جعلت هذه المحنة منه شخصا رقيقا ، لين الجانب ، متسامحا مع الناس جميعا ، ولا سيما مع الأطفال . وكلما انتابنى حزن أو هم كنت أجد فى صحبته الملجأ المنشود . وكنت أقضى معه ساعات طويلة يقص على خلالها من قصص ألف ليلة وليلة ، ويروى لى أحداث ثورة عام ١٨٥٧ الهندية . وحدث بعد سنين عدة ، وكنت اذ ذاك قد بلغت أشدى ، أن طوى الموت « منشى » ، بيد أن ذكراه ما برحت تلازمنى كأعز وأغلى ما تكون الذكرى »

وثمة رجل ثالث تأثر به « نهرو » أعمق تأثير ، ذلكم هو مؤدبه « فرديناند بروكس » الذى عهـــد اليه أن ينمى فيه تذوق القراءة

وهو يقول عنه : « حين بلغت الحادية عشرة قدم مؤدب جديد مقيم هو « فرديناند ت . بروكس » وتولى أمرى . كان أبوه ارلنديا ، وامه فرنسية أو بلجيكية . . قضى معى زهاء ثلاثة أعوام ، وقد أثر فى تأثيرا كبيرا فى كثير من النواحى . وكان لى مؤدب آخر فى ذلك الوقت ، هو الشيخ العزيز « بانديت » الذى كان يعلمنى الهندية والسنسكريتية . وبعد عدة أعوام استطاع بانديت بما بذله من جهـــد أن يعلمنى قليلا جدا ، لدرجة اننى لا أستطيع أن أقيس ما تعلمته من السنسكريتية الا بما تعلمته من اللاتينية فى كلية « هارو » . ولا شك فى ان العيب كان عيبى أنا ، اذ أن استعدادى للغات ليس طيبا ، ولم يكن النحو يثير اهتمامى . وقد ربى « فرديناند بروكس » فى نفسى ذوق القراءة ، وقرأت عددا كبيرا من الكتب الانجليزية ، ولـــكن دون أن يكون لى هدف معين بالذات »

وبعد أن يحدثنا « نهرو » عن أكداس الكتب التى استوعبها ، ومنها مؤلفات « سكوت » و « ديكنز »

و «ثاكرى» و « ويلز » و « سجين زندا » و « ثلاثة رجال فى زورق » و «تريلبى» التى هزت مشاعره ، يقول :

« وشببت شغوفا بالشعر، وقد دام ذلك الشغف الى حد ما ، وان زالت عنى ميول أخرى عديدة »

ثم يقول :

« كذلك هدانى « بروكس » الى أسرار العلوم . أنشأنا معملا صغيرا كنت أقضى فيه ساعات طويلة مفيدة أجرى التجارب فى الطبيعة والكيمياء »

مفتاح لأسرار الكون

وكان لبروكس تأثير من نوع آخر على «جواهرلال» ، فقد جعله يأخذ بأسباب الثيوصوفية ، وكان يشجعه على حضور الاجتماعات التى كان المتصوفون يعقدونها فى داره ، والاشتراك فى مناقشة كثير من الأمور المتصلة بما وراء الطبيعة والعود الى التجسد ، والاجرام السماوية . ويعترف « نهرو » بأنه لم يكن يفهم كثيرا مما كان يطرح على بساط البحث والنقاش ، ولكن كانت تلك المسائل تسحره وتخلب لبه ، وكان يرى فيها مفتاحا لأسرار الكون

وهو فى هذا يقول :

« وما أن غادرنى بروكس حتى انقطعت صلتى

بالثيوصوفية .. ولكن لايخامرنى أقل شك فى أن تلك الأعوام التى أنفقتها مع بروكس تركت فى نفسى أثرا عميقا ، وأشعر بأننى مدين له وللثيوصوفية . ولكن منزلة المتصوفين عندى بدأت تقل منذ ذلك الوقت ، اذ بدا لى انهم أشخاص عاديون وليسوا مختارين ، يؤثرون الأمن على المخاطرة ، ويفضلون العمل السهل على الاستشهاد »

والأمر الثانى الذى أثر فى نفس « نهرو » هو الحرب الروسية اليابانية ، فقد أثارت الانتصارات اليابانية حماسته ، وكان يتتبع أنباءها يوما فيوما ، بل ساعة فى اثر ساعة ، وقد قرأ عديدا من الكتب عن اليابان ، وكان شديد الشغف بالاساطير اليابانية

وكان من أثر هذا كله أن أصبح ذهنه فوارا بالآراء والافكار الوطنية ، وبدأ يفكر تفكيرا عميقا فى الهند ، وتحرير آسيا من الاستعباد الاوربى ، وكان يحلم بأن يصبح مقاتلا ، يخوض غمار الحرب فى سبيل تحرير الهند

ميل الى الجنس اللطيف

كان اذ ذاك يناهز الخامسة عشرة ، وقد طرأت على الأسرة تطورات جديدة ، اذ غادر الدار أبناء أعمامه واخواله بعد أن أتموا دراساتهم ، والتحقوا

بوظائف ، وتزوجوا . وبدأ عقله يمتلىء بأفكار جديدة ، وشعر ، لأول مرة ، بميل الى الجنس اللطيف ، وان كان ميله الى معاشرة أصدقائه ظل قويا لأنه كان يحس ان كرامته لا تسمح له بالاختلاط بالفتيات . . ولكنه ، كما يقول ، كان فى بعض الحفلات الكشميرية يجد لذة فى النظر الى الفتيات الجميلات أو لمسهن

وفى شهر مايو عام ١٩٠٥ ، حين بلغ « نهرو » الخامسة عشرة من عمره ، أبحر الى انجلترا بصحبة أبيه وأمه وأخته الصغيرة ليلتحق بكلية « هارو » . وكان أول عهده هناك يلوذ بالوحدة ، ويشتد به الحنين الى الوطن ، ولكنه سرعان ما ألف الحياة فى الكلية

كان يشغل وقته بالدرس والتحصيل والرياضة ، ولكنه كان يشعر ، على الدوام ، بأنه ليس واحدا منهم ، وان شعور الآخرين حياله يماثل شعوره ازاءهم . وكان ، لسعة اطلاعه ، متفوقا على أقرانه فى المعلومات العامة بوجه خاص . وكان يطالع الصحف باهتمام ، ويستوعب كثيرا من الكتب . وكان يكتب الى أبيه عن زملائه الطلبة الانجليز ، فيصفهم بالبلادة وبطء الفهم ، ويؤكد له ان سرعة الخاطر تعوزهم ، وانهم لايعرفون شيئا غير الرياضة

وقد كوفىء « نهرو » يوما بجائزة لعمل أجاده ، وكانت الجائزة سفرا عن البطـل الايطالى العظيم « غاريبالدى » من تأليف « ترفليان » . خلبت لبه حياة ذلك البطـل ، وأشعلت حماسـته ، فابتـاع الجزءين الثـانى والثالث من السلسلة ، وأكب على قراءتهما فى شغف واهتمام ، فمرت بخاطره أحداث مماثلة فى الهند ، واسـتبدت به الرغبة فى الـكفاح والنضال ، ولا سيما بعد أن بدأت الصحف تنشر أنباء عن اضطرابات وقلاقل كانت تحدث آنئـذ فى الهند ، وكان ذلك خلال عامى ١٩٠٦ و ١٩٠٧

وشعر خلال تلك الفترة أن « هارو » مكان ضيق لايتسع للآراء والأفكار الثورية القوميـة التى ملأت قلبه وعقله ، فالتحق بكلية « ترينيتى » فى جامعة « كمبردج » فى أكتوبر سنة ١٩٠٧ ، وكان اذ ذاك فى السابعة عشرة أو يدنو من الثامنة عشرة . وقد غمرته السعادة اذ ألفى نفسه فى ذلك الجو الجامعى ، طليقا حرا الى حد كبير ، وشـعر بأنه تجاوز حد الصبا وأصبح يسير بخطى سريعة فى طريق النضج والرجولة .

قضى فى « كمبردج » ثلاثة أعوام هادئة سعيدة ، وأصبح له أصدقاء عديدون ، وأخذ أفقه الثقـافى

يتسع بسرعة ، واختار لنفسه من العلوم الكيمياء وعلم النبات والجيولوجيا (علم طبقات الارض) ، بيد أن اهتمامه لم يكن مقصورا على هذه العلوم ، كما أوضحنا مرارا ، وكان من يقابلهم من الناس فى كمبردج أو خلال العطلات فى لندن أو فى أماكن أخرى ، يتحدثون اليه فى الكتب والأدب والتاريخ والسياسة والاقتصاد

وكان يشعر فى بداية الأمر انه كالتائه فى صحراء ، ولكنه قرأ بضعة كتب فى تلك الفنون والعلوم ، فأصبح أكثر ادراكا لأحاديث أولئك الناس ، وأقدر على محاورتهم والافادة من مناقشتهم فى فلسفة «نيتشة» وكتب « برنارد شو » و « ديكنسون » و « هيفلوك اليس » و « كرافت ابنج » و « أوتو ونّنجر » وغيرهم من المفكرين والكتاب وعلماء النفس

الشباب وأثر كتب أوسكار وايلد

كانت نظرة « نهرو » الى الحياة خلال تلك الفترة تنطوى على شىء من الرغبة المبهمة فى الاستمتاع بملاذ الحياة ، وكان مرد ذلك الى عنفوان الشباب من جهة ، والى أثر كتب « أوسكار وايلد » فى نفسه من جهة أخرى . وبدأ فى الوقت نفسه ، يجنح الى المخاطرة والمجازفة ، وفى هذا يقول :

« كنت كأبى مقامرا الى حد ما ، وقد قامرت بادىء

ذى بدء بالمال ، ثم قامرت على مشاكل الحياة الكبرى»

وكان « نهرو » يتساءل فى ذلك الوقت عن الوظيفة التى يحسن به أن يلتحق بها ، أو المهنة التى تتفق مع ميوله ونزعاته فى الحياة . فكر بعض الوقت فى الالتحاق بالادارة المدنية الهندية ، ولكنه لم يلبث أن استبعد تلك الفكرة ، وحسنا فعل ، فلو انه التحق بتلك الادارة لاشتد لومه لنفسه فيما بعد

وقد نال اجازة فى العلوم الطبيعية ، وأحرزالدبلوم فى سن العشرين ، ثم جاز امتحان الحقوق « لا فى فخار ولا فى خزى » على حد تعبيره . وفى عام ١٩١٢ عاد الى الهند بعد أن قضى فى انجلترا أكثر من سبعة أعوام

قلق وتوثب

ما أن عاد « نهرو » الى وطنه حتى اشتغل بالمحاماة أمام المحكمة العليا ، وكان خلال بضعة الاشهر الاولى سعيدا هانئا ، مشرق الوجه ، ولكنه أحس بعدئذ أن عمله رتيب ممل ، وان حياته اليومية تعوزها العوامل التى تشجع المرء على أن يأخذ ويعطى مع البيئة التى يعيش فيها

ولعل مرد الكآبة التى انتابته واستبدت به الى أن الافكار التى شغلت عقله خلال الأعوام السبعة التى قضاها فى بريطانيا كانت تتعارض مع الحالة كما وجدها فى الهند

كان يجد شيئا من العزاء والتسلية فى الجو العائلى،

وكان يشعر بلذة عقلية عجيبة كلما فرغ من قراءة كتاب من الكتب التى كان يستعيرها من مكتبة نادى المحامين ، ولكنه كان يحاول ، ما وسعته المحاولة ، أن يظل بعيدا عن المناقشــات التى كانت تدور بين أعضاء النادى ، لاقتصارها دائما على المسائل القانونية

لماذا لا يلتقى الجنسان ؟

وكان يفكر فى قول «ديكنسون» عن الهند : « ولكن لمــاذا لايلتقى الجنسان ؟ لأن الهنود يستثقلون ظل الانجليز ، تلك هى الحقيقة الجامدة » .. ثم يقول :

« ومن الجائز أن يكون هذا هو احساس الانجليز أيضا ، وهو أمر لايثير الدهشـــة . وفى هــذا يقول فورستر ان كل انجليزى فى الهند يشعر ويسلك ، بحق ، كأنه فرد من جيش احتلال ، ومن المستحيل أن تنمو ، فى مثل هذه الظروف ، علاقات طبيعية خالية من القيــود بين الجنسين . ان الانجليزى والهندى يتنافران ، وهما لا يشعران بالارتياح حين يجتمعان .. »

« .. لقد أبرز النظام الانجليزى فى الهند الموظفين الرسميين ، من انجليز وهنود ، ورفع شأنهم ، حتى فى الميدان الاجتماعى . وأفراد هذه الطبقة على درجة كبيرة من البــلادة وضيق الافق . وحتى الشـــاب

الانجليزى الذكى لايلبث ، بعد وصوله الى الهند ، أن يرتد الى نوع من السبات العقلى ، والثقافى ، وتنقطع صلتـه بالأفكار والحركات النيرة .. واذا كانت هذه حياة الموظف الانجليزى ، على الرغم من العطلات التى تمنح له وعودته الى بلاده كل بضعة أعوام ، فان حياة الموظف الهندى ، الذى يعمل معه أو تحت اشرافه ، ليست خيرا منها ، فهو يحاول أن ينسج على منوال الانجليزى . وقد غزا هـذا الجو الرسمى حيـاة أفراد الطبقة الهنـدية المتوسـطة ، وخاصة الذين يجيدون الانجليزية منهم ، اذا استثنينا الى حد ما ، مدنا مثل كلكتا وبمباى . واستسلم لذلك الجو محامون وأطبـاء وغيرهم ، بل لقد بلغ قاعات الجامعات . وكان أولئك الناس جميعا يعيشون فى عالم آخر ، لا صلة لهم بالجماهير .. »

معنى السياسة

لهـذا كله لم يكن نهرو مقبـلا على الحياة بوجه مشرق . لم يتحمس لمهنته التى كانت تحول دون خوضه غمار السياسة . وكان معنى السياسة عنده حركات وطنية عدوانية عنيفة ضد الحكم الأجنبى الغشوم

وأثار المؤتمر الوطنى الهندى اهتمام نهرو ، فراح يشهد اجتماعاته بين حين وآخر . وكان فى بداية

الأمر يتحاشى مواقف الخطابة ما وجد الى ذلك سبيلا، لأنه كان يتهيبها ، الى أن ألقى أول خطاب فى الله آباد فى اجتماع عقد للاحتجاج على قانون أصدرته الحكومة لتكميم الصحافة ، فلما فرغ من خطابه دنا منه السياسى الحر الدكتور « تاج بهادور ساپر » وعانقه مهنئا اياه على توفيقه فى الدفاع عن حرية الصحافة

وهو يحدثنا عن المناقشات التى كانت تتخلل حياته المنزلية فى تلك الفترة فيقول :

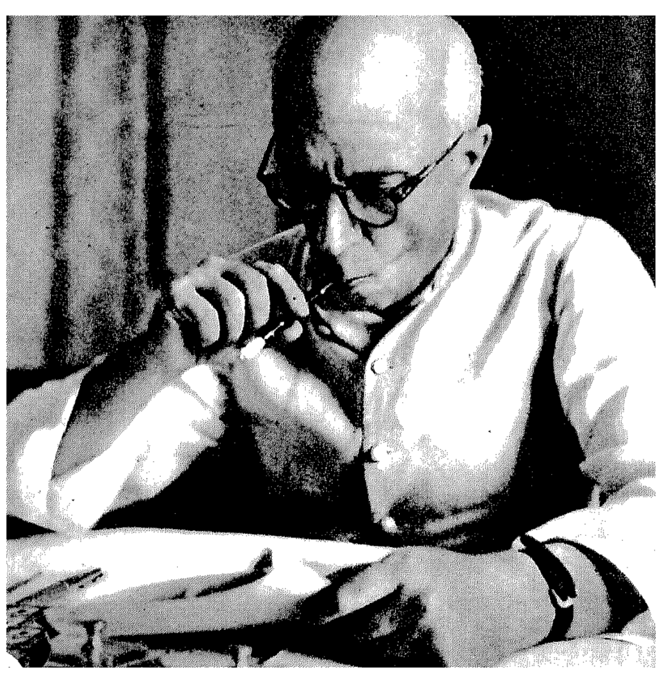
« لم تكن المسائل السياسية التى كانت تثار فى دارنا خلال تلك الأعوام موضوعات لنقاش هادىء ، وكانت الاشارة اليها تحدث توترا فى الجو ، وكان أبى يرقب عن كثب اشتداد ميلى الى التطرف ، ونقدى المتواصل لسياسة الكلام ، واصرارى على العمل »

والواقع ان نهرو لم يكن قد فكر، حتى ذلك الوقت ، فى نوع العمل الذى كان يصر عليه . وكانت نفسه تنطوى على صراع مرير بين اضطراره الى الاستمرار فى الاشتغال بالمحاماة وبين رغبته القوية الملحة فى الاشتراك فى اية حركة وطنية عدوانية ، عنيفة ، جارفة ، ضد الاستعمار الانجليزى

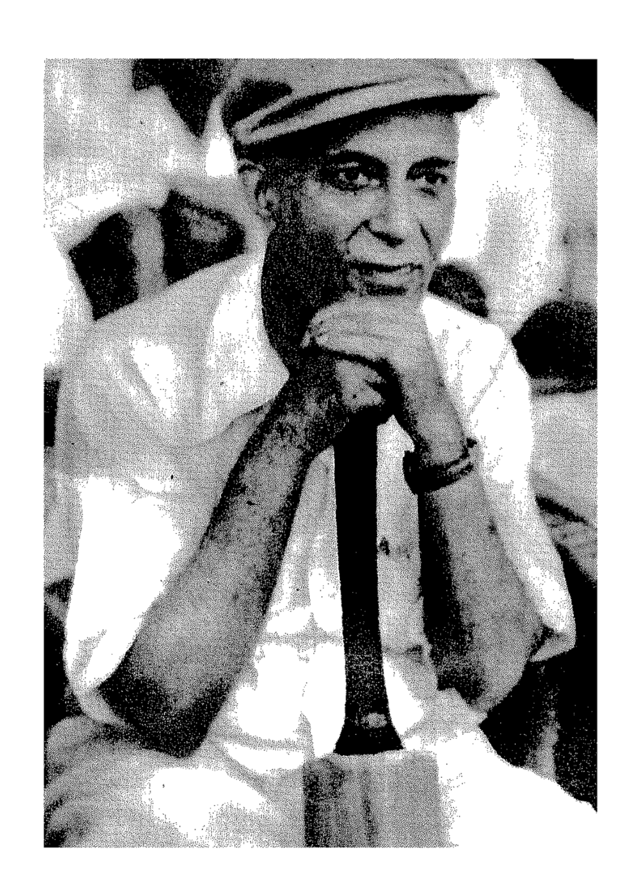


فى شهر يونيو من العام الماضي زار شرى
نهرو مصر ، ويرى هنا فى مطار القاهرة بينما
الرئيس نجيب يودعه ويهديه مسبحة ثمينة

الرئيس محمد نجيب يتوسط شرى جواهر لال نهرو وسردار بانيكار سفير الهند فى مصر



لا يكف نهرو عن القراءة ... وهو هنا
مستغرق فى مطالعة احدى الصحف



نهرو الرياضي .. انه كثيرا ما يشترك بنفسه في مباريات الجولف الخيرية

اختلاف فى الرأى : بين الأب وابنه

وكان هذا كله مثار قلق شديد لأبيه موتيلال ، ولم يلبث الأمر أن استحال الى اختلاف فى الراى بينهما

قال نهرو : « حاول كل منــا أن يقف من الآخر موقف الاناة والمصابرة ، ومضت الليالى تلو الليالى وأنا هائم على وجهى ، كسيرالقلب ، معذب الوجدان ، وحاولت جاهدا أن التمس لى مخلصا »

وحدث ذات يوم أن راى جواهر لال أباه يحاول النوم على الارض ، فسأله عن دافعه الى الانطراح على الارض هكذا ، فقال انه يجرب كيف تكون حياة ولده فى مضاجع السجون !

ولكن سرعان ما بحث موتيــلال الأمر بحثا دقيقا عميقا ، وقلبه على جميع جوانبه . لقد كان يعارض دعوة غاندى الى العصيان المدنى معارضة شديدة ، وكان جواهر لال قد آمن بالعصـــيان ايمانا أفعم نفســـه ، ثم وضع موتيــلال فى كفة الميزان بواعثه واعتباراته وكبرياءه واعتداده بنفسه ، ووضع فى الكفة الثانية اسراف الحكومة فى التعسف والطغيان ، فما لبث أن ضغط على كفة الحركة الجديدة ، فلما تسيق جواهر لال الى السجن سيق معه أبوه أيضا

افراد الأسرة جميعا فى السجن

والواقع ان أفراد الأسرة جميعا قد زج بهم فى غيابات السجن ، فهذه زوجته « كمالا » التى اقترن بها فى مدينة « دلهى » خلال عام ١٩١٦ قد أصرت على اللحاق به ، وحذت حذوها أختاه السيدة « فيجايا لاكشمى بانديت » والسيدة « كريشنا هوثيسنغ » . أما أمه ، وكان الشيب قد وخط شعرها ، فقد ضربها رجال البوليس على رأسها وطرحوها أرضا ، وأوشكوا أن يفقدوها وعيها . وقد ضرب نهرو أيضا ضربا مبرحا وأصيب برضوض شديدة

واليك رواية نهرو عما حدث يومئذ :

«كان مشهد الملحمة ، ملحمة الخيالة وهم يركضون جيادهم ، خليقا أن يكون جميلا رائعا لولا تلك المآسى التى تجرى فى الطرقات .. الناس صرعى على الارض ، بعضهم لايقوى على الحراك ، والبعض الآخر يتلوى من شدة الألم ، وسرعان ما أطبق علينا الفرسان . وعندئذ راح رجال البوليس ، راجلين وركبانا ، يوسعوننا ضربا ودقا بهراوات الخيزران الغليظة . كانت معركة طاحنة شديدة الرحى . وكل ما فكرت فى أن أفعله وقتئذ هو أن أظل فى مكانى ، ولا أذعن ولا أتقهقر . وأحسست ، لفداحة ما ألم

بى من ضربات ولكمات ، انى فقدت نصف بصرى .
وكانت تستبد بى حينا نزوة من الغضب الاعمى ،
وحينا آخر تجتاحنى رغبة عارمة فى أن أكيل لهم
صاعا بصاع . وفكرت فى انه من اليسير أن انتزع
ضابط البوليس الذى كان حيالى من فوق جواده .
ثم أعتلى صهوته ، بيد ان الخبرة الطويلة زجرتنى ،
والتعاليم القويمة منعتنى ، فلم أرفع يدى الا لوقاية
وجهى من اللطمات . وكنت أعلم ، فضلا عن ذلك ،
ان أى عدوان من جانبنا قد يؤدى الى مأساة مروعة
يردى خلالها الرصاص رجالنا »

في السجن

شهدت الهند خلال عام ١٩٢١ مزيجا عجيبا من الحركات الوطنية والسياسية والدينية والتعصبية والرجعيــة والتقدميــة ، واقترنت بتلك الحركات اضطرابات فى الريف ، وحركات عمالية فى المدن الكبيرة

وكان واضحا جليــا ان تعاليم غاندى وفلسفتــه سيطرت على جميع الطبقات ، وأثرت فى النفوس تأثيرا عميقا . وهكذا استطاع ذلك الرجل العظيم أن يوجه الشعب بأسره وجهة واحدة ، وأن يصبح هو رمزا يعبر أصــدق تعبير عن الرغبــات المتداخــلة المتباينة التى كانت تنطوى عليها ، خلال تلك الفترة ، نفوس الهنود

ويقول نهرو ان تلك الرغبات والعواطف كانت خلوا ، الى حد كبير ، من الحقد على الحكام الاجانب ، مع ان الوطنية تحمل فى طياتها شعورا بالعداء للحكام الاجانب الذين يفرضون أنفسهم على شعب ينشد الاستقلال ، ويتطلع الى الحرية .

سياسة عدم العنف

وكان مرجع ذلك الى اصرار غاندى على اتباع سياسة عدم العنف ، والى الشعور السائد بأن المضى فى انتهاج هذه السياسة كفيل بازالة كل أثر لاستبداد الحكام الاجانب وطغيانهم ، وتمهيد السبيل الى الاستقلال والحرية بعد القضاء على الاستعمار

وكان قادة الهند ، وعلى رأسهم « غاندى » أو « غانديجى » ، كما كان الهنود وما زالوا يسمونه راضين مطمئنين ، متفائلين ، مستبشرين

لقد أسعدهم ، وملأ نفوسهم غبطة وانشراحا أن يلقوا بنى وطنهم يقفون مرفوعى الرؤوس ، ويشتركون فى حركة منظمة واسعة النطاق شملت البلاد من أقصاها الى أقصاها ، بعد اذ كانوا متخاذلين ، متواكلين ، مستضعفين ، منقسمين على أنفسهم ، لا هدف لهم فى الحياة ينشدونه ، ولا غاية يضحون فى سبيل الوصول اليها

وغمرت تلك الحركة الواسعة نهرو ، مثلما غمرت غيره من رجال الطليعة ، ووقف نشاطه وجهده عليها ، بعد أن تخلص من كل قيد آخر ، وتناسى أصدقاءه ، وأبعد الكتب عنه ، ولم يعد يقرأ الا الصحف التى كانت تكتب عن الحركة ، وتنشر أنباءها ، ووقفت الموقف الذى تمليه عليها الوطنية الصادقة

وأهم من هذا كله ان نهرو نسى أسرته .. نسى زوجته وابنته .. فقد كان يقضى أكثر ساعات اليوم فى المكاتب ، واجتماعات اللجان ، وبين الجماهير ، فى المدن أو القرى

وبدأ وقتئذ يشعر بنشوة القدرة على التأثير فى الجماهير ، ويفهم سيكولوجيتها ، ويفرق بين جماهير المدن وجماهير الفلاحين ، ولم يعد ينشد الراحة والدعة ، وألف استنشاق الغبار مع الهواء ، والنوم فى أى مكان ، وتناول أى طعام ، والوقوف فى العراء تلفحه الشمس وتخطف بصره ، أو يغرق المطر الغزير ثيابه ، أو تعصف به الريح العاتية عصفا

الى السجن

وفى أواخر عام ١٩٢١ أعلن ان البرنس أوف ويلز ينوى زيارة الهند ، فما كان من حزب المؤتمر الا أن أعلن مقاطعة كل ما له صلة بتلك الزيارة . وشرعت

الحكومة فى اتخاذ اجراءات صارمة ضد فروع الحزب فى كل مكان .

وعندئذ أدرك نهرو وغيره من القادة ورجال الطليعة ان المعركة التى لا مفر منها أوشكت أن تنشب بين حزب المؤتمر والحكومة .

ولم تلبث الحكومة أن شرعت فى حملة واسعة من الاعتقالات ، فاعتقلت جميع زعماء الحزب ، واعتقلت عشرات الآلاف من الأعضاء والمتطوعين ، وبلغ عدد المعتقلين ـ خلال شهرى ديسمبر من العام نفسه ويناير من العام التالى ـ نحو ثلاثين ألف شخص . وكان نهرو ، بطبيعة الحال ، من بين القادة الذين شملتهم حركة الاعتقالات ، وكان أبوه قد سبقه الى السجن

ولم يكن أحد من السجناء يحاول الهرب ، ولو انه أراد الخروج لاستطاع ذلك اذا أعرب عن أسفه واعتذاره ، وتعهد بالكف عن الاشتراك فى أية حركة مناهضة للحكومة

وأطلق سراح نهرو فى مستهل شهر مارس ، ولكنه أعيد الى السجن بعد ستة أسابيع أو سبعة

وفى آخر يوم من يناير عام ١٩٢٣ أطلق سراح نهرو وجميع المسجونين السياسيين الآخرين

وبعد نحو ستة أعوام أوشك نهرو خلالها أن ينسى حيــــاة السجن ، أعيد الى سجن « نايبى » المركزى

كان عام ١٩٣٠ فوارا بالتطورات الملهمة ، وكانت قدرة غاندى على اثارة حماس شعب بأسره مثـــار دهشة واعجاب فى سائر أنحاء العالم ، وكان كل شيء يدل على ان العصيان المدنى لا شك مؤد الى النصر فى النهاية .

وخرج نهرو من السجن فى شهر أكتوبر من العام نفسه ليعود اليه بعد ذلك مرات .

العدو الرئيسى

وفيما بين عامى ١٩٢١ و ١٩٣٤ سجن نهرو سبع مرات مددا يبلغ مجموعها خمسة أعوام ونصف عام . وكان فى معظم الأحوال يعامل معاملة طيبة ، ولــكن حدث له ذات مرة أن أدخل فى زنزانة مع سجين آخر ، وكانت الجرذان تمر على وجهه وهو نائم فيهب مذعورا

ولقد أثرت فيه حياة السجن تأثيرا عميقا ، فأصبح أكثر حساسية ، وازدادت رجولتــه قوة وتبلورا ، وأفسح له السجن مجال التفكير فى ارساء فلسفته السياســية على خير الأسس ، فرأى ان النضـــال الهنــدى ينطوى على أمور تتجاوز حــد الوطنيــة والقومية ، واقتنع بأن الاستعمار هو العدو الرئيسى ،

وانه ينبغى له أن يناهضـــه ، ويشن عليه الحملات الشعواء ، ما دام الاســـتعمار البريطانى ينحو نحوا رأسماليا ، وشعر بأن هـــذا الاستعمار يستند الى الاستغلال الاقتصادى والسياسى فى وقت واحد

قال لنفسه : لابد أن يكون المرء اشتراكيا ، وثوريا قوميا ، ليستطيع مهاجمة الانجليز بطريقة منطقية فعالة

خليفة غاندى

نهرو ابن غاندى البار وخليفتـــه الوفى المخلص ، ولكنه لم يكتف باقتفاء أثره والنسج على منواله ، بل حاول أن يتخذ من فلسفته وتعاليمه اداة يواجه بها تجارب جديدة ، وسلاحا يمكنه من أن يشق للهند طريقا الى الحياة الجديدة التى هى جديرة بها ، وأهل لها

لقد توجه غاندى ببركته ، كما رأينا فى الفصل الأول ، ومنحه ثقته التامة ، وهيأه على النحو الذى ييسر له أن يخوض غمار الحياة السياسية والاجتماعية بقلب ملؤه الشجاعة والأمل

والواقع ان نهرو يعد ، بحق ، وسيطا بين الغاندية والاشـــتراكية ، بين مقتضـيات العوامل الخلقيـــة

والمطالب والاعتبارات المادية ، ولقد أخاف الغانديين باشتراكيته ، مثلما أخاف الاشتراكيين بغانديتـــه ، ولكنه لم يوفق توفيقا تاما فى الملاءمة بين الفـــاندية والاشتراكية

انه يسعى ، ما وســـعه السعى ، الى الجمع بين الفلسفتين لأن ذلك يؤدى الى عالم يعيش فيه الناس أحرارا سعداء ، وتسخر فيه الآلة لخدمة الانسان ، دون أن يتحول هو الى آلة فى يد الدولة .. عالم مثالى لاتكون الغلبة فيه للجشع الفردى على حساب الصالح العام ، ولا يحول الصالح العام دون أن يتمتع الفرد بحقه النسبى فى الحرية ، حرية القول والرأى ، وحرية الاجتماع والعمل

الهند والعالم

ولا شك فى ان شخصية غاندى والحركة الشعبية العامة التى أثارها حزب المؤتمر بزعامته وقيادته ، قد استرعتا اهتمام الرأى العام العالمى ، وجعلتـــاه يتتبع عن كثب تطور الحالة فى الهند

ولكن لا شك أيضا فى انه لو لم يصرف حزب المؤتمر همه الى الشؤون الدولية بايحاء من نهرو ، ولو انه لم يعرب عن رغبته الصادقة الملحة فى محالفة القوى التقدمية فى العالم ، لما اهتم العالم بشؤون الهند الى الحد الذى نعرفه

كان التقدميون فى سائر أنحاء العالم يرقبون باهتمام تجربة غاندى الجديدة وسياسته الفريدة فى مناهضة الاستعمار ، وكانوا يؤيدون ، ما وجدوا الى التأييد سبيلا ، مسعى الهند للاستقلال، ولكنهم كانوا يعدون غاندى بطلا وطنيا أولا وقبل كل شيء ، بينما كان نهرو ، فى رأيهم ، اشتراكيا ودوليا

لا عزلة

والى ذلك الموقف العظيم الذى وقفه نهرو ، والى السياسة القويمة البعيدة المرمى التى ارسى أسسها ، يرجع الفضل فى ان الهند لم تؤمن بسياسة العزلة ، بل رغبت رغبة ملحة فى الاضطلاع بدورها فى حلبة الشؤون الدولية . وكان طبيعيا ، بعد هذا ، أن يهتم العالم ، أيما اهتمام ، بالشؤون الهندية

لم يدخر نهرو وسعا فى سبيل ربط الحركة القومية الهندية بالتيارات الفكرية الحديثة ، أى بالحركة الدولية التى تستهدف اقرار مبادىء الديموقراطية والاشتراكية

وليس من الصواب ، ولا من الانصاف فى شيء ، أن نقول ان نهرو سعى الى انشاء دولة اشتراكية بمعنى الكلمة ، فهو ، وان كان اشتراكيا صادقا فى اشتراكيته ، فقد ثبت بأقوى القرائن انه اهتدى ،

وما برح يهتدى ، بمثل الديموقراطيـة والنهوض بالجماهير اقتصاديا

واذا كان نهرو يؤمن ببعض المبادىء الأساسيـة للاشتراكية العلمية ، فهو لم يأخذ مبـادىء ماركس ولينين على علاتها ، اذ انه يعد نفسه حرا فى بحث أية مبادىء وضعت للاصلاح الاجتماعى بوجه عام ، وهو لايتقيد بشىء تقيدا مطلقا ، وانما يعيد النظر على الدوام فى آرائه وأفكاره على ضوء ما يصادفه

نظرة عملية

وخلاصة الفكرة التى كونتها عن نهرو بعد أن قرأت مؤلفاته وعشرات الكتب التى وضعت عنه ، انه يختلف عن أبيـه الروحى وأسـتاذه غاندى فى نظرته الى الحياة

فهو ينظر الى شتى مظاهر الحياة نظرة عملية ، ويعالج المسائل السياسية بطريقة بعيدة كل البعد عن الدين والعاطفية ، وهو يؤمن بالتوجيه والتنظيم فى مضمارالديموقراطية والحرية ، ويعادى حكم الفرد والحكم المطلق ، ويرغب فى الاهتداء الى معادلة بين الحرية الفردية والاقتصاد الموجه

وهو يعتقد انه لايمكن توفير الحرية الاقتصـادية للجماهير الا اذا كانت وسائل الانتاج ملكا مشتركا ،

على انه يشترط التضحية بالحرية الشخصية فى أضيق الحدود المستطاعة فى سبيل بلوغ تلك الغاية

وواضح انه لو خير الناس بين الأمن والحرية ، لاختاروا الأمن ، ومعنى هذا ان الحرية لايمكن أن تتوافر الا اذا لازمها شعور بالأمن الاقتصادى . وهذا غير مستطاع فى النظام الرأسمالى

والرأى عند نهرو أن التنظيم الاقتصادى لايمكن أن يتم ، أو يكون سليما الا عن طريق الدولة ، وهو يعترف بأنه لا معدى عن الضغط لتنفيذ قرارات الدولة عند الاقتضاء ، ولكنه يعرف ان الاقتصاد الرأسمالى لايستطيع أن يحل مشاكل البطالة الواسعة والفقر المستشرى ، وان الفوضى فى ميدان الانتاج لاتؤدى الا الى الفوضى فى المجتمع

ومن ثم نراه يتحاشى الجوانب السيئة الضارة فى التنظيم الاشتراكى ، بالاعتماد على الأساليب الديموقراطية ، والاخذ بأسبابها على أوسع نطاق ممكن

ولئن كان نهرو يدعو الى مزيج من الاقتصاد الاشتراكى والديموقراطى ، فمما لاريب فيه على الاطلاق ان قصارى جهده موجه الى الأمن الاقتصادى والحرية

ديموقراطية اشتراكية

والخلاصة ان التعريف الوجيز الجامع المانع لفلسفة نهرو الاجتماعية والاقتصادية انها ديموقراطية اشتراكية . وهو يهتدى فى سلوكه وسياسته بالمثل الاشتراكية لاعتقاده انها هى ، وحدها ، تمثل القيم الانسانية التى يمكن أن يكتب لها الثبات والاستقرار والدوام

وكان من أثر هذا كله أنه ناصب الاقتصاد الاقطاعى فى الهند العداء ، وركز جهده فى أن يهيىء للجماهير أساس حياة كريمة ، حرة ، انشائية ، بنائية

ولكن اذا كان نهرو اشتراكيا الى حد بعيد فمن المحقق الثابت انه ينفر من الشيوعية نفورا شديدا ، ويحتقر وسائلها الى أقصى حدود الاحتقار

وفى هذا يقول : « لست شيوعيا ، وسبب ذلك أولا وقبل كل شىء ، اننى أنفر من الاتجاه الشيوعى الى اعتبار الشيوعية عقيدة مقدسة ، ولست أحب أن يقال لى فيما ينبغى لى أن أفكر ، وماذا يجب على أن أفعل ، كذلك أشعر بأن عنفا يقترن بالوسائل الشيوعية ، ولا يمكن ، فى نظرها ، فصل الغايات عن الوسائل »

الروح العظيم

ما رأى نهرو فى غاندى ؟.. الجندى الذى حارب بأسلحة القديسيـــين ، الجندى الذى كان يؤمن بأن السيف يقتل ولكنه لايقهر ، وان المستعمر قد يقتل عددا من الهنود ولكنه لايستطيـــع أن يستعبد أمة بأسرها

ما رأيه فى الروح العظيم الذى عمد الى لون جديد من الحرب ، لا ليقتل العدو ، بل ليقضى على ما فى نفسه من دناءة وحقـــارة وخسة ؟.. وفى القـــائد الباسـل الشجاع الذى كان يدرب جيوشه على الموت دون أن تقترف جريمة القتل ؟

ما رأيه فى أستاذه وأبيه الروحى الذى كان يؤمن

بأن الامتناع عن العنف خير من العنف ، وان الغفران أدل على الرجولة من العقاب ، وان الكرامة وعزة النفس أقيم من السخط والحنق، والغيظ والغضب ، وان التحدى الصامت أقوى بمراحل من المباهاة بالقوة والتهديد بالبطش والتنكيل ؟

ما رأيه فى القديس الثائر الذى استطاع ، بما انطوت عليه نفسه من حب للبشر ، أن يجتث جذور الاستعمار ، ويستأصل شأفته من بلاده ؟

ضياء خبا

لقد نعاه الى الأمة بعد أن طواه الموت بفعل الرصاصات الثلاث التى أطلقها عليه مجرم أثيم فى مساء اليوم الثلاثين من يناير سنة ١٩٤٨ ، فقال وقد استبد به الألم، وحز فى نفسه المصاب الجلل :

« أصدقائى ورفاقى . . لقد خبا الضياء من حياتنا جميعا ، وخيم الظلام فى كل مكان . لست أدرى ماذا أقول لكم ، وكيف أقوله . ان زعيمنا المحبوب «بابو» ، كما كنا نسميه ، وأبا الأمة ، قد طواه الموت . وقد أكون مخطئا فى كلامى هذا ، ولكننا لن نراه بعد اليوم كما كنا نراه خلال الأعوام العديدة الماضية ، ولن نهرع اليه نلتمس منه النصح والعزاء والسلوى . انها لكارثة لم تحل بى وحدى ، بل حلت كذلك بملايين الملايين فى هذه البلاد »

« قلت ان الضياء قد خبا ، بيد انى مخطىء ، فان الضياء الذى تألق فى هذه البلاد، لم يكن ضياء عاديا . ان هذا الضياء الذى سطع على هذه البلاد خلال أعوام مديدة سيظل ساطعا سنين عديدة ، بل ان ألف سنة ستدور وهذا النور يشع فى بلادنا ، وسيراه العالم ، وسيكون عزاء وسلوى للايين الافئدة ، اذ ان هذا السنا كان يمثل شيئا أعظم من حاضرنا القريب ، كان يمثل الحقائق الحية الخالدة ، وكان يذكرنا بالصراط المستقيم، ويبعدنا عن الزيغ والهوى والضلال ويقود هذه البلاد العريقة الى الحرية »

كان غاندى يؤمن بأن من يأكل لحم الحيوان لا يختلف فى شىء عن آكل البشر ، وكان دائم الدعوة الى الامتناع عن ابادة أى كائن حى ، وكان يفهم فى حنين واشفاق لغة الآلام والهموم والأحزان البشرية ، وبكاء الحيوان ، وكانت فلسفته الدينية تقوم على تقديس الحياة ، وكان يقول دائما : « لايحق لنا أن نبيد ما دمنا لا نملك قوة الخلق »

الاقتداء بالأستاذ

ولقد أشرب نهرو هذه الروح ، وآمن بتلك الفلسفة وقدس الحياة مثلما كان يقدسها أستاذه

استمع اليه يمضى فى الرثاء قائلا :

« لقد وضع مجنون حدا لحياته ، اذ لايسعنى أن

اسمى من فعل هذا الا مجنونا . . لقد انتشرت سموم كثيرة فى هذه البلاد خلال الأعوام والأشهر الأخيرة ، ولقد أثرت هذه السموم فى عقول الناس . يجب علينا أن نواجه تلك السموم ، وأن نقضى عليها ، وأن نجابه جميع الأخطار التى تطوقنا . . ولكن لاينبغى لنا أن نجابهها بجنون وتهور وحماقة وطيش ، بل بالطريقة التى علمنا أستاذنا المحبوب أن نجابهها بها »

ويمضى فيقول :

« ان أول شيء ينبغى لنا أن نذكره الآن انه ليس بيننا من يقدم على اساءة التصرف لأنه غاضب حانق. يجب علينا أن نسلك مسلك الأقوياء ، وأن نصمم على مواجهة الأخطار المحيطة بنا ، وأن نؤدى الرسالة التى خلفها لنا زعيمنا العظيم ، ذاكرين على الدوام انه اذا كانت روحه ترانا وترعانا ، كما أعتقد ، فان ما من شيء يغضبها أكثر من أن تلاحظ أننا انغمسنا فى مسلك دنيء ، أو عمل من أعمال العنف »

ويقول فى خطاب ألقاه فى الشهر التالى لوفاة غاندى :

« ان مجدا قد ولى ، وان الشمس التى أفعمت حياتنا دفئا ونورا قد غربت . والآن تسرى القشعريرة فى اوصالنا ، ونعيش فى ظلام دامس »

كان غاندى صوفيا حاول جاهدا أن يطبع صورة خالق الارض والسموات على وجوه المجرمين

المتوحشين الذين لم تعرف قلوبهم الشفقة أوالرحمة ، وعلىوجوه الكذابين والمنافقين والجبناء . وكان يؤمن بأن النصر الذى تظفر به الأمم عن طريق العنف ، والغش والخداع والتدليس والوسـائل الرخيصـة الدنيئـة ، لايمكن أن يدوم أو يكتب له الثبـات والاستقرار ، لأن أسس النصر الدائم لايمكن أن ترسى الا على صخرة الحقيقة

الصدق وعدم العنف فى السياسة

وفى هذا يقول نهرو : « لقدهدانا غاندى الى وسيلة جديدة للنضال والحرب السياسية ، والى نوع جديد من الدبلوماسية . لقد أثبت قوة الصـدق وحسن النية ، والاستعداد الطيب ، وعدم العنف فى حلبـة السياسة . علمنا ان نتعاون مع كل هندى ونحترمه بوصـفه رجلا ومواطنا ، بغض النظر عن اتجاهه السياسى ، أو عقيدته الدينية »

كان غاندى يؤمن ، أولا وقبل كل شىء ، بالحقيقة الكونية ، وكان يقول : « أعتقد ان للهند رسالة دولية» وكان يؤكد فى كل مناسبة ، ان هدفه الدينى ليس له حدود جغرافية

والهندوكية ، فىعناصرها الجوهرية ، لاتكاد تختلف عنالأديانالأخرى، فهى تدعو جميعا الى الخير والسلام والأخوة والمحبة . بيد ان دين غاندى أشمل من بعض

الأديان ، فهو يوحد جميع الكائنات الحية في أسرة واحدة ، مترابطة متآلفة ، يسودها الود والاخلاص

ويحدثنا نهرو عن هذا الجانب من عظمة غاندي فيقول :

« كان هندوكيا وهنديا ، وكان أعظم الهندوكيين والهنود في عدة أجيال ، وكان يفخر بأنه هندوكي وهندي . وكان يعز الهند لأنها تمثل ، على مر العصور ، بضع حقائق سرمدية . ومع انه كان شديد التدين ، وانه سمي أبا الأمة التي حررها ، فان القيود الدينية أو القومية لم تكبل روحه ، وهكذا أصبح يؤمن بالدولية ، وبوحدة الانسان الجوهرية ، والوحدة التي تنطوي عليها جميع الأديان ، وحاجات البشرية .. وقد وقف نفسه ، بوجه خاص ، على خدمة ملايين الفقراء والمعوزين والمضطهدين في كل مكان »

سم الطائفية

كان غاندي الموحد العظيم للهند ، وقد علم بني وطنه أن يكونوا متسامحين متحابين ، وأن يسموا على نفوسهم الصغيرة وأهوائهم ، وأن يروا الخير في الآخرين .. ولا شك ان موته كان رمزا للتسامح والوحدة ، وكان دليلا ، أي دليل ، على انه كان قلبا كبيرا ، بكل ما في الكلمة من معنى

وفى هذا يقول نهرو :

« مضى غاندى ، بيد أن روحه الملتهبة تغلفنا ، وتشملنا ، والعبء ملقى الآن على كواهلنا ، والحاجة الملحة هى أن نبذل قصارى جهدنا للاضطلاع بذلك العبء . وعلينا أن نتآزر ونتساند ، وأن نكافح هذا السم الرهيب ، سم الطائفية التى قتلت أعظم رجل فى عصرنا هذا »

« لزام علينا أن نزيل هـذا السم ، غير مدفوعين بأية ضغينة ازاء أفراد ضلوا سواء السبيل ، ولكن مدفوعين بمعارضتنا الشر نفسه حيث يوجد »

ثم يقول :

« أناشدكم أن تتذرعوا بروح التسامح والتعاون فى حياتنا العامة ، وأن تجمعوا الصفوف التى تريد أن تخلق من الهند أمة قوية تسعى الى الأمام قدما . أناشدكم أن تبذلوا جهدا شـاملا للقضـاء على سم الطائفية . . »

« أعاهدكم أن أكون عند حسن الظن بى . . وأملى قوى فى أن يكون من نصيبنا ، نحن أبناء هذا الجيل ، أن نحقق الأحلام التى كانت تجول بخاطر غاندى ، وعلى هذا النحو نكرم ذكراه ، ونقيم نصبا تذكاريا جديرا به حقا »

الثائر المثالى

حين تولى « جواهر لال نهرو » رياســة الوزارة خلال النصف الثانى من عام ١٩٤٧ ، تساءل أصدقاؤه ومريدوه والمعجبون به :

هل يستطيع هذا الثائر المثالى الحالم أن يواجه حقائق المهام الكبرى التى وكلت اليه ، ويشغل هذا المنصب الخطير ؟

هل يتسنى له أن يروض نفسه التى فطرت على الثورة ، ويكبح جماحها ، ويهذبها ؟

كان المعتقد أن نفسه المتمردة الثائرة ستحول دون اضطلاعه بأية مهمة من هذا القبيل تقتضى ، حتما ، شيئا كثيرا من الهدوء ، ورباطة الجأش ، والاتزان

لقد عرف عنه انه شجاع الى أقصى حد ، سريع

الانفعال ، أمين ، نزيه ، صاحب مبادىء ومثل عليا ، مرهف الحس ، ميال الى الشك فى نفسه

هل يستطيع بهذه الصفات أن يتولى شؤون الحكم ؟

بيد ان الثائر ، المتمرد ، الحالم ، المثالى ، استحال بين عشية وضحاها سياسيا متزنا ، متبلورا ، ناضجا . واستطاع أن يلائم بين طبيعته وبين طبيعة المهام الكبرى التى أسندت اليه

لقد استعان بالمثالية ليجمل السياسة ، واتخذ من استقامته وايثاره العدل والنزاهة أداة لتقويم الديبلوماسية ، واستخدم شجاعته للنهوض بأعماله الادارية ، وسخر خياله الخصب الواسع للتسامى بسياسته

سر النجاح

والواقع ان سر نجاح « نهرو » زعيما ، وسياسيا ، ورئيس حكومة ، يتركز فى مثاليته ومبادئه السليمة القوية ، وبصيرته السياسية المقترنة بالشجاعة والاطلاع الواسع ، والقدرة الخارقة على استيعاب الآراء والأفكار والتيارات الذهنية ، والنظرة الشاملة الى الأشياء

ان كل قرار تتخذه الحكومة لابد من اختباره على هذا المحك ، فاذا اتضح ان معدنه نقى ، فلا شىء يحول دون فرضه وتنفيذه

لم يكن الكاتب الأمريكى الشهير « جون جنتر » مبالغا حين قال : « ان نهرو من أوسع الرجال الأحياء نفوذا ، فبكلمة منه يرتهن مسلك زهاء ثلاثمائة مليون نسمة ، ولكن لابد لك من صورة تاريخية عامة للهند حتى يتيسر لك أن تفهم نهرو »

اتجه بفكرك وخيالك الى تلك البلاد الواسعة ، المترامية الأطراف ، التى يعيش فيها نحو خمس الجنس البشرى . تصور المهراجات فى قصورهم الفخمة وثرائهم الفاحش ، وتذكر فى الوقت نفسه الفقر المدقع ، والمنازعات الطائفية والدينية

استمع الى الشاعر الأكبر « رابندرانات تاغور » يخلب لبك ، ويغذى عقلك ، ويهز مشاعرك ، وينقلك الى آفاق بعيدة فيها شاعرية صافية ، وجمال رائع ، وسحر فاتن ، ثم انظر الى عبدة الطيور والثعابين والجرذان

فكر « نهرو » فى هذا كله ، فأيقن أن تقدم بلاده يرتهن بتخليصها الى الأبد من الاقطاع ، ومن الخرافات ، ومن التفكير السلفى . فهو رجل استقبالى بنشأته وتربيته وطبعه ومزاجه

استمع اليه يقول : « ومن أبرز حقائق هذا العصر ان الثورة الصناعية أخذت تؤثر فى آسيا وافريقيا ، والصراع فى العالم اليوم صراع مستمد من مدى تطور

الثورة الصناعية ، وأبرز ما فى الأمر ان أعظم دولتين فى العالم اليوم ، من حيث القوة ، وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، قويتان لتقدم الصناعة فيهما ولأسباب أخرى . وكلتاهما تتعبد فى محراب التكنولوجيا ، ولكن بوسائل مختلفة . ومع انهما فى صراع ناشب بينهما فان كلا منهما أقرب الى الأخرى مما يتصور الكثيرون .. لا أقصد سياسيا ، وانما اقتصاديا ، ولا أعنى اقتصاديا بالمعنى المتعارف عليه ، وانما من حيث تقديس التكنولوجيا . ومن ثم يجب على الانسان أن يواجه هذا العالم ، وأن يفهم حقيقته ، ومصدر قوته ، ونواحي ضعفه . ونحن لا نستطيع أن نتكلم اللغة التى كنا نستعملها منذ خمسين سنة ، اذ لا مجال ولا معنى لها اليوم »

انتجوا أو اهلكوا

« انتجوا أو اهلكوا » ..

تلك هى الصيحة التى أطلقها جواهر لال فى حديث أذاعه بالراديو خلال شهر يناير سنة ١٩٤٨ :

« اننا نتحدث عن انتاج أشياء كثيرة ، ولكن قد يكون أهم شيء بالنسبة لهذه الأمة هو انجاب رجال ونساء اكفاء صادقين .. ان أمثال هؤلاء الرجال والنساء الصادقين الأقوياء روحيا يضيئون هذه

البلاد العريقة ، ويشملوننا نحن الضـعاف التائهين الضالين باشعاعهم .. لقد ظللنا فترة طويلة من الزمن بعيدين عن سواء السبيل ، وأضعنا تراثنا وسيرتنا الطيبة سدى . يكفينا هـذا الآن ، ولا مفر لنا من التقدم حثيثا فى طريق الانشاء والبناء والتعاون »

« الانتاج معناه الثروة ، فلن تكون لدينا ثروة كافية اذا لم ننتج ، والتوزيع لايقل أهمية عن الانتاج ، حتى لا تتجمع الثروة فى أيد قليلة . ولكن قبل أن نفكر فى التوزيع ينبغى أن يكون هناك انتاج »

« نريد نهرا من الثروة تتدفق مياهه من حقولنا ، ومصانعنا ، وتصل الى الملايين من بنى وطننا .. لا حرية لشخص يتضور جوعا ، أو لبلد فقير ، وليس للفقراء سوى مكان صغير من هذا العالم ، يستوى فى ذلك الأفراد والأمم »

ولقد تدفقت حقا مياه ذلك النهر ، تدفقت بفضل مشروعات السنوات الخمس التى كانت نقطة التحول فى تاريخ الهند المستقلة ، وبداية عهـد جديد من الرخاء

كان بعض الناس يشك فى قدرة الهند على تحقيق تلك المشروعات العظيمة ، ولـكن شعب تلك البلاد أصغى اصغاء تاما الى زعيمه « نهرو » وهو يصيح « انتجوا أو اهلكوا » وأدرك ان الانتاج معناه الثروة ،

وانه لا حرية لبلد تعوزه مقومات الحياة ، ويفتقر الى عوامل النهوض والتقدم والرقى . ومن ثم آمن ببرنامج حكومته الساهرة على رخائه . وليس أدل على ذلك من تلك المشروعات التى نفذتها الحكومة ، وبدت منافعها واضحة ملموسة خلال بضعة الأعوام الأخيرة

وهكذا نجح « نهرو » المثالى ، الثائر ، الحالم ، فى مواجهة حقائق الحياة ، وكتب له توفيق ما بعده توفيق فى الاضطلاع بالمهام الكبرى التى أسندها اليه الشعب ، طواعية واختيارا ، واستطاع القضاء على النوازع الاقطاعية ، والخرافات التى تقف حجر عثرة فى سبيل النهوض الاجتماعى والاقتصادى ، والقضاء كذلك على التفكير السلفى والنظر الى الخلف

لقد هيأ نهرو لخمس سكان العالم حياة جديدة ، ونفخ فى نفوسهم روحا متوثبة ، دائمة التطلع الى مستقبل زاهر عظيم ، وأبعدهم عن الهلاك ، بعد أن أقنعهم بضرورة العمل والانتاج

فى المرآة

تجلت براعة نهرو ككاتب ، أكثر ما تجلت ، فى الكتاب الضخم الذى وضعه فى السجن عن حياته وكفاحه . فهو يسوق الى القارىء تفاصيل عن صباه ، وحياته فى دائرة الأسرة ، وصلته بأستاذه غاندى ، لايجرؤ على بسطها الا كاتب يقيم للصدق فى الرواية وزنا كبيرا ، ويدرك قيمة الدقة فى التعبير حق الادراك ، ويعرف قدر نفسه تمام المعرفة ، ولايخشى أن يعرض الصورة كما ينبغى أن تعرض ، لايشوهها تحريف ، ولا يجملها تعديل أو تبديل ، ولا يحول شىء بينه وبين الحقيقة العارية المجردة

لم يضع ذلك الكتاب الذى طبع للمرة الأولى فى

غضون عام ١٩٣٦ ، ثم أعيد طبعه خلال العام نفسه تسع مرات ، وطبع مرتين فى العام التالى ، وصدرت منه اخيرا طبعة جديدة ، بعد أن أعيد طبعه سبع مرات منذ عام ١٩٣٧ — نقول لم يضع نهرو ذلك لكتاب لنفسه ، بل وضعه للتاريخ ، وأهداه الى شريكة حياته التى طواها الموت قبل أن تقاسمه المجد الحقيقى الذى سجله لنفسه ، ولم تعرف فى الحياة الا كفاحا تحملته بصبر جميل ، ونضالا أبت عليها نفسها الأبية الكريمة الا أن تشترك فيه على نحو زاد حياتها الزوجية سعادة ، وجهادا مقدسا زادته قوة واشتعالا اذ وقفت حياتها بأسرها على توفير أسباب الهناءة لزوجها ، وتهيئة الجو الذى يمكنه من التقدم حثيثا صوب المثل التى وضعها لنفسه .

نمو دائم

الواقع انهم قليلون جدا أولئك الذين يستطيعون أن يقولوا هذا الكلام ، ويشعروا هذا الشعور ، ويتطلعوا الى المستقبل بمثل هذا الاشراق والتفاؤل والاستبشار على الرغم من قسوة ظروف الحياة .. « لقد كنت أشعر دائما بأننى أنمو ، وما برح هذا الشعور يلازمنى ، ويحبب الى المهام التى أضطلع بها ، كما يحبب الى قراءة الكتب ، ويجعل الحياة جديرة بأن نحياها »

قال ذلك ولما يتجاوز السادسة والاربعين ، ولكنه قاله بعد أن ناضل طيلة خمسة عشر عاما نضالا شاقا مريرا ، خليقا أن يزعزع كيان أى رجل ، ويثبط عزيمته ، ويضعف آماله ، ويبعده عن مثله العليا ، ويزهده فى الحياة

وأدعى من هذا الى العجب أن يصف نهرو تلك الفترة القاسية المريرة من حياته وصفا يدل أبلغ الدلالة على ان اليأس لم يجد ، ولن يجد ، الى نفسه طريقا

فهو يقول عن الآلام النفسية العميقة التى كادت فى وقت ما ، أن تعصف به عصفا ، والتجارب القاسية التى واجهها ، وآثار العسف والجور والطغيان التى عصرته « انها شبيهة بمغامرة ذات فائدة عظيمة يتعلم فيها المرء كثيرا ، ويعمل كثيرا »

وفى الكتاب ، بعد هذا كله ، أبرع وأدق اتهام للحكم البريطانى فى الهند ، وفيه أروع صورة لنضال الهند فى سبيل الحرية والاستقلال

تحليل ذاتى

ولعلك تعجب ، مثلما عجبت ، اذ تعلم انه وضع هذا الكتاب ليقتل الوقت فى السجن ، وينسى الوحدة ، وليشعر نفسه بأنه يفكر بصوت عال « واستعيد

الحوادث الماضية فى الهند التى كنت مرتبطا بها حتى يتسنى لى أن أفكر فيها بوضوح » . . .

وهكذا حلل نفسه بنفسه حتى يتمكن زملاؤه من الكفاح والنضال ، وحتى يتمكن نقاده وخصومه ، من أن يفهموه ، ويفهموا السر الذى يكمن فى انفعالاته ، وفى المواقف التى يتخذها من التطورات والاحداث

ولد ارستقراطيا ليحكم ويأمر ، ولكنه خضع طائعا مختارا ، لنداء الواجب ، ووقف حياته على خدمة أمته

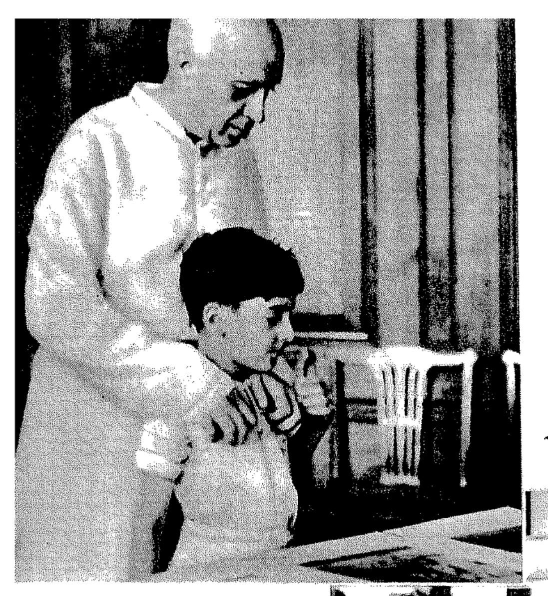
وولد بملعقة من ذهب فى فمه ، ولكنه أبعد نفسه عن لذائذ الحياة ، وأكب على العمل المضنى ، ناسيا ان لبدنه عليه حقا

ولقد آمن ايمانا عميقا راسخا بقدرة بنى وطنه على النصر ، وعلى الظفر بالاستقلال والحرية ، ولم تضعف ايمانه عواصف الشك التى كانت تهب عليه من وقت الى آخر ، وتهز نفسه هزا عنيفا

العمل ونتائجه

كتب الى المؤرخ الأمريكى الكبير « ويل دورانت » يقول :

« أومن بالعلم والمنطق والعقل ، ولكن يبدو فى بعض الأحيان ، انها تفتقر الى شىء ما ، ويلوح ان الحياة محكومة بعامل اقوى ـ سمه الغريزة ، أو

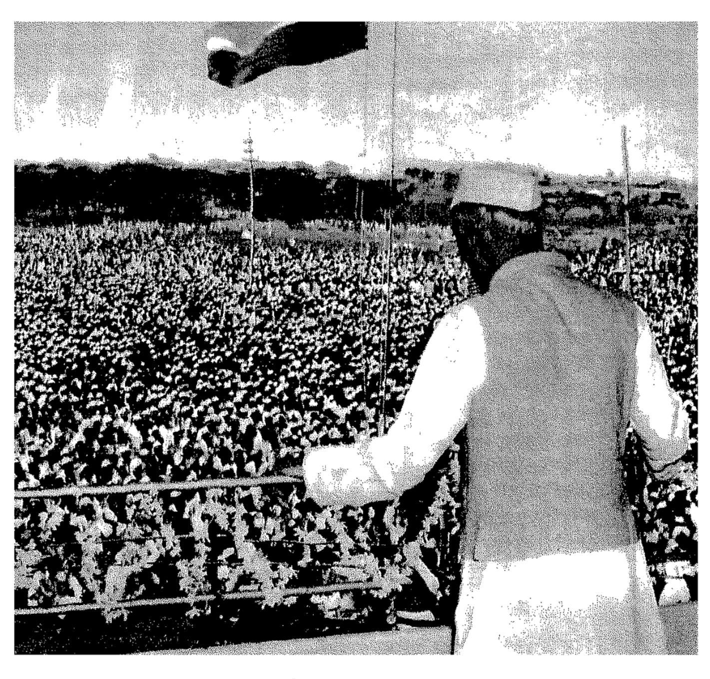


شرى نهرو يهوى التصوير ويتقنه ... وهو هنا يلتقط صورة حفيده « راجيف »

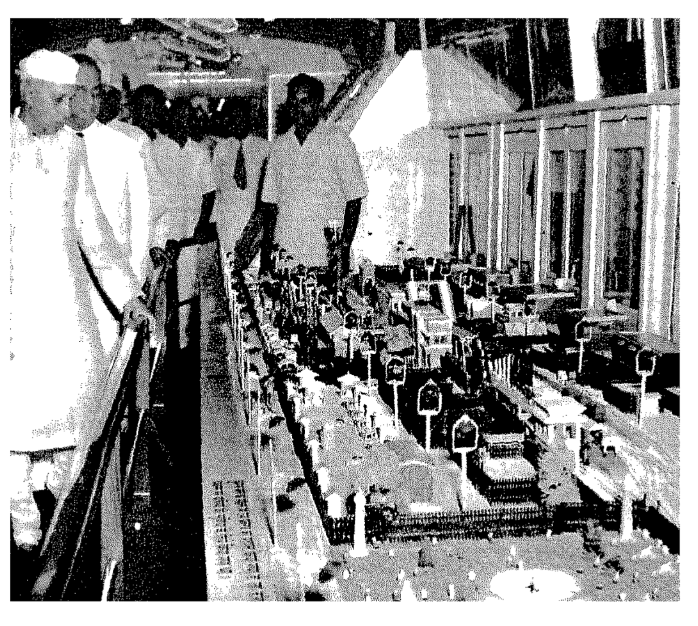
يغتنم نهرو الفرصة كلما واتته ليلاعب حفيديه .. انه يحب الاطفال حبا جما ..

نهرو على مائدة الافطار مع كريمته « انديرا » وولديها « راجيف » و « سانجايا »





نهرو يخطب فى اجتماع عام



نهرو يفتتح معرضا لنماذج محطات السكك
الحديدية ... انه لايدخر وسعا فى
سبيل النهوض ببلاده فى عالم الصناعة

سمه اندفاعا لايقاوم نحو شيء ـ وهو عامل لايبدو ، لأول وهلة ، متفقا مع العلم او المنطق كما نعرفهما .
ينتابني اليأس أحيانا من جراء سجل الفشل الذى ينطوى عليه التاريخ ، واستمرار الشر ، على الرغم من عظماء العصور الماضية والاعمال الجليلة التى تمت فيها ، وتصدع صرح الحضارة الآن ، وزوال مثلها القديمة ، والأخطار المتربصة بنا فى المستقبل . ولكنى أشعر مع هذا كله ، ان المستقبل فوار بالأمل للانسانية ولبلادى ، وان النضال من أجل الحرية الذى نضطلع به فى الهند يدنينا من تحقيق ذلك الأمل . لا تطلب مني أن ابرر هذا الشعور ، اذ لا أستطيع أن أسوق اليك أسبابا كافية . قصارى ما فى وسعى أن أقول لك هو اننى وجدت توازنا عقليا ، وقوة والهاما ، فى اعتقادى اننى أؤدى نصيبى فى سبيل قضية قوية ، وان جهدى لايمكن أن يذهب هباء . وأنا ، بطبيعة الحال ، أعمل للوصول الى نتائج . أريد أن أسير بسرعة فى الطريق المؤدية الى غايتى . ولكن حتى نتائج العمل لا تقلقنى كثيرا ، ذلك ان العمل ، فى حد ذاته ، يرضينى ما دمت مقتنعا بأنه سليم »

ان من يقرأ هذا الكتاب الذى يسوق الينا فيه نهرو قصة حيـــاته ونضاله ، أو أى كتاب آخر له ، ليشعر على الفور ، بأن الكاتب واثق بنفسه كل الثقة ، يعرف

ما يريد ، ويصور أهدافه ومثله العليا تصويرا دقيقا صريحا ، ويقتنع كل الاقتناع بأن نهرو لايعرف المواربة أو التمويه أو التعمية

وقد عجز بعض نقاده عن فهمه فهما صحيحا ، ولكن مرد ذلك الى سوء حظه معهم ، لا الى عدم قدرته على الاعراب عن وجهة نظره ، اذ فى وسع المرء منا أن يسيء الفهم اذا رغب عن الفهم ، وهو فى هذه الحالة أشبه بمن يغلق عينيه حتى لايرى !

ولقد عاب بعض النقاد على نهرو تعمده التكرار فى بسط آرائه وأفكاره ، فان ما قاله عن الاستعمار فى كتابه عن حياته كرره فى مؤلف آخر له عنوانه « الهند والعالم » ، وكرره فى مؤلف ثالث عن تاريخ العالم . ولكنه يعمد الى التكرار أحيانا ليزيد فكرته وضوحا وجلاء ، ويقربها الى ذهن المستمع أوالقارىء ، ويظل يعيدها فى أذنه أو فى ذهنه حتى يقتنع بها ، ان كان على استعداد للاقتناع بالحجة القوية ، والبرهان القاطع الدامغ

العنف

وخلاصة الآراء والأفكار التى تتضمنها مؤلفات نهرو أن العالم واحد اليوم ، وان النظرة الدولية الشاملة الى شتى الأحداث والتطورات هى النظرة السليمة ، وان لا حياة كريمة بدون حرية وان لم

تكن الحرية الا وسـيلة الى الحياة الكريمة ، وان الحرية السياسية لا تكفى ، اذ يجب أن تقترن بحرية اقتصادية واجتماعية وكونية

وهو يتحدث عن العنف ، فيؤكد انه لايمكن أن يكون حلا نهائيا لمساوىء الحياة وشرورها ، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، وهو لا يفيد على الاطلاق الا اذا كانت قوتك تفوق قوة خصمك . ولقد ثبت عمليا ونظريا ان الامتناع عن العنف يؤدى الى خير النتائج

ولئن كانت الحرية عن طريق العنف خـيرا من العبودية ما فى ذلك الريب ، فان عدم العنف ينبغى أن يؤثر على العنف ، وهو قد لايكون سلاحا ماضيا يكفل النصر على الدوام ، ولكن من المحقق انه ليس سلاحا سلبيا ، فهو قوى ، بتار ، ولا بد لاستخدامه والاعتماد عليه من شجاعة خارقة

بين المعسكرين

استطاعت الهند ، على الرغم من حداثة عهدها فى الميدان الدولى ، أن تعزز مركزها بين المعسكرين الشرقى والغربى ، فقد اتبعت سياسة خارجية تنطوى على شىء كثير من الحكمة ، وبعد النظر ، وحسن التقدير للعواقب

وبهذه السياسة أصبحت الهند قوة كبيرة لايمكن الاستهانة بها ، أو التقليل من شأنها ، وأضحى لهذه القوة تأثير عميق فى آسيا عامة ، وفى المناطق الجنوبية من تلك القارة الشاسعة بوجه خاص ، بل لقد امتد تأثير هذه القوة الى الميدان الدولى

وآية ما نذهب اليه انه حين اشتد الخلاف حول

حرب الميكروبات ، سعى الطرفان الدوليان الى الحكومة الهندية راجيين أن تتوسط بينهما

ولقد قال «كليمنت اتلى» رئيس الوزارة البريطانية السابقة ، يوم الاحتفال فى ٢٦ يناير من العام الماضى بالذكرى السنوية لتأسيس الجمهورية الهندية ، ان الهند ، بعد انقضاء بضع سنوات فقط على تأسيس جمهوريتها ، برزت بين الشرق والغرب ، تنقل وجهة نظر كل منهما الى الآخر

سياسة خارجية مستقلة

وتتبع الهند سياسة خارجية مستقلة وليست محايدة ، وترفض الانضمام الى الأحلاف الدولية . وفى هذا قال نهرو ردا على سؤال وجه اليه فى مؤتمر صحفى عقد خلال عام ١٩٥١ :

« لم نتدخل فى شؤون أوربا فيما يتصل بحلف الاطلنطى . وحين دار الحديث عن انشاء حلف للمحيط الهادى على غرار ذلك الحلف ، لم نعده أمرا ضروريا ، أو عاملا يؤدى الى السلام ، وهو هدفنا الرئيسى . والخلاصة ان أمثال هذه الأحلاف لاتهمنا »

وسئل نهرو فى مؤتمر صحفى أذيع بالتلفزيون من لندن فى شهر يونية عام ١٩٥٣ ، هل يعتقد انه يحق لوزراء بلد معين أن يتدخلوا فى أحداث بلد آخر ، فأجاب قائلا :

« اننى أوافق ، بصورة عامة ، على انه لايجوز للوزراء أن يتدخلوا فى الأحداث التى تجرى فى بلد آخر ، وانه يجب عليهم أن يراعوا « آداب الجلوس » ثم أضاف قائلا : « ولكن اذا ما شبت النار فمن الصعب أن نتصور كيف يستطيع الانسان أن يظل جالسا فى مكانه . وقد التزمت جانب التحفظ ، الى حد بعيد ، منذ أن أصبحت رئيسا للوزارة ، ونجحت فى ذلك . ولو لم أكن رئيسا للوزارة لرفعت صوتى ضد أمور كثيرة »

وكان « انيورين بيفان » زعيم الجناح اليسارى فى حزب العمال البريطانى قد صرح خلال شهر فبراير عام ١٩٥٣ بأن العالم يحتاج اليوم الى كتلة دولية ثالثة تؤلف من الدول الصغرى ، وتتخذ موقفا وسطا بين الكتلة الغربية التى تتزعمها الولايات المتحدة ، والكتلة الشرقية التى يتزعمها الاتحاد السوفييتى ، لأنه لابد للجنس البشرى من قوة ثالثة تحفظ توازن العالم ، وترغم الماردين الأمريكى والشيوعى على الانصات لصوت العقل

منطقة جغرافية ثالثة

وقد علق نهرو على ذلك الاقتراح بقوله انه ليس موفقا ، لأنه ينطوى على أمور تجعل شعوب الدول

الصغيرة تتردد كثيرا فى قبولها . ثم قال انه من الخير انشاء منطقة جغرافية ثالثة تشـمل الشعوب التى ترفض السير فى ركاب أحد المعسكرين الغربى أو الشرقى

وسئل نهرو خلال الحفلة التى أقامتها نقـابة الصحفيين المصريين تكريما له فى الخامس والعشرين من يونية عام ١٩٥٣ ، ما هى التدابير التى يقترح اتخاذها لجمع أكبر عدد ممكن من البلاد خارج ميدان أية حرب محتملة الوقوع ، فقال :

« أن سياسيتنا فى الهند ، كما تعلمون ، تقوم على عدم الارتباط بأية تكتلات دولية ، والسعى للاحتفاظ بالعلاقات الودية مع جميع الدول . وطبيعى أن تكون علاقتنا مع بعض الدول أوثق منها مع غيرها ، ولكنها ودية مع الجميع . وهذا امتداد طبيعى لسياستنا السابقة ، ونتيجة لاعتقادنا اننا ، بهذه الطريقة ، نخدم قضيتنا ، وقضية السلام العالمى »

ثم قال : « لقد ظن البعض ، فى الماضى ، اننا ندعو الى قيام كتلة ثالثة ، وانى لأجرؤ على القول ان التفكير فى هذا الاتجاه خطأ فأنا لا أحب الكتلة الأولى أوالكتلة الثانية ، فلماذا أحب الكتلة الثالثة ؟ ولذلك اقترحت قيام منطقة ثالثة لا ترتبط مع أحد فى سبيل الحرب . ومع ان أحدا لايستطيع أن يتنبأ بما سـيأتى به

المستقبل ، أو ماذا سيفعل هذا البلد أو ذاك فى ظل ظروف معقدة ، فاننى أعتقد انه سيكون فى صالح الأقطار التى يعنيها الأمر ، وصالح العالم أجمع ، قيام هذه المنطقة الثالثة التى أدعوها « منطقة اللاحرب » واتساع رقعتها . وستكون لهذه المنطقة قوة كبيرة ، ونفوذ واسع ، تستخدمهما فى سبيل السلام . أما اذا وقعت الكارثة ، ونشبت الحرب ، فانها قد تستطيع استخدام نفوذها لاعادة السلام الى ربوع العالم . والسؤال الذى يتبادر الى الذهن الآن هو كيف تحقق هذه الفكرة ..؟ لا أعتقد انه يمكن تحقيقها عن طريق ما أدعوه بالتحالف الرسمى ، والمعاهدات ، لأن معالجتها بهذه الطريقة تعود بنا الى فكرة الكتل . ولهذا أرى انها مسألة تعاون ودى ، غير رسمى ، قائم على تفهم متبادل لوجهات النظر . قد تستطيع أن تفعل هذا الشىء داخل الأمم المتحدة أو خارجها ، وانكم لتعلمون عن تجمعات غير رسمية كهذه ، استطاعت أن تخدم قضايا جميع الذين يعنيهم الأمر »

لا حياد

وعدم سعى الهند الى التحالف مع أى من الكتلتين ليس معناه انها تؤثر اتخاذ موقف الحياد ، فالحياد فى رأى ساسة الهند تهرب من المشاكل الدولية ، لأنه

يحتم على الدولة التى تنتهجه أن تلوذ بالصمت ، وتمتنع عن التعليق على ما يجرى فى العالم من أحداث ، وما يطرأ على الحالة الدولية من تطورات

وهنا يقول : « مولانا أبو الكلام ازاد » وزير معارف الهند وعضو لجنة الشؤون الخارجية :

« ان بقاء الهند على الحياد معناه تجنبها التبعات التى تقع على عاتقها بوصفها دولة مستقلة ، ومعناه كذلك أن نغمض أعيننا عن حقائق الموقف الدولى »

وحرص الهند على الوقوف كالطود الراسخ بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وعلى عدم الانحراف شرقا أو غربا ، واقرار الأمن واقامة السلم العالمى على دعائم ثابتة مستقرة ، لايحتاج الى دليل

ففى الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٥٢ وافقت اللجنة العليا لحزب المؤتمر الهندى على مشروع قرار ناشدت فيه الدول الكبرى عقد مؤتمر خماسى لفض الخلافات بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وازالة كل أثر للخوف والتوتر الدولى ، اللذين تعانى منهما البشرية الأمرين

وأعربت اللجنة فى قرارها عن أسفها ، لأن الدول الكبرى تنفق على التسلح أموالا طائلة ، ثم ناشدت هذه الدول استغلال تلك الأموال فى تحسين أحوال البلاد المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا . ثم أهابت بالأمم

المتحدة ألا تدخر وسعا فى السعى الى اقرار السلم العالمى ، وتجنب أهوال الحروب وكوارثها ، والعمل على ازالة التوتر الذى يسود العالم

وهذا القرار يعبر عن السياسة الخارجية للحكومة الهندية أصدق تعبير ، لأن نهرو هو رئيس حزب المؤتمر الهندى ، وهو الذى وضع مشروع القرار

الدعوة الى عقد مؤتمر دولى

وفى مستهل شهر أكتوبر عام ١٩٥٣ أذيع ان حكومة الهند تؤيد فكرة الدعوة الى عقد مؤتمر دولى لدراسة المشكلات المعلقة بين الشرق والغرب ، ومحاولة تسويتها

ودافع الهند الى الاهتمام بعقد مؤتمر دولى هو انها تستهدف فى سياستها الخارجية سلام العالم وأمنه لسبب جوهرى هو انها أيقنت ان فى هذا دعامة سلامها وامنها

فمن الطبيعى والحالة هذه ، أن تسعى ما وسعها السعى الى الارتباط بصلات ودية مع الدول القوية المتاخمة لجبال الهملايا ، أى مع الاتحاد السوفيتى والصين الشيوعية ، والى الابقاء على العلاقات الودية التى تربطها بالدول المسيطرة على البحار ، لحرصها على تجارتها الخارجية ، وعلى سلامة سواحلها فى حالتى السلم والحرب

وهى ، لهذا كله ، لاتألو جهدا لازالة عوامل التوتر الدولى . ولقـــد أذاع الدكتور راد كريشنان نائب رئيس الجمهورية الهندية ، اثر زيارته كندا ، خطابا فى هذا الصدد استهله بقوله : « ان ما يدعونا الى العمل من أجل السلام ، بلا كلل أو ملل ، هى المصلحة الذاتية المستنيرة لا المبادىء الخلقية فحسب »

وهذه السياسة هى التى دفعت الهند الى الاهتمام بانهاء الحرب الكورية ، وقد اضطلعت فى هذا المجال بدور على أعظم جانب من الأهمية فى الأمم المتحدة .

ويقول ساسة الهند أن نظرتهم العملية الى شؤون الشرق الاقصى هى التى جعلتهم يطلبون فى كثير من المناسبات الاعتراف بحكومة الصين الشيوعية . وقد قال نهرو فى احدى المناسبات انه ليس من الميسور تسوية مشكلات الشرق الأقصى تسوية نهائية دون الاعتراف بحكومة الصين الشيوعية ، وأن امتناع بعض الدول عن الاعتراف بتلك الحكومة هو بمثابة امتناع عن التسليم بحقيقة واضحة ثابتة من حقائق هذا العصر . ولقد أسفر هذا الاتجاه عن نتائج خطيرة

وقال فى مناسبة أخرى ان العامل الأساسى فى ادراك حقيقة الموقف فى الشرق الأقصى هو فهم حقيقة حكومة الصين الجديدة ، حكومة بكين

وقال فى مناسبة ثالثة : « لقد اعترفنـــا بحكومة

الصين الجديدة رغم ان كثيرا من الدول الكبرى لم تعترف بها . والاعتراف أو عدمه لايبدل الحقيقة القائمة. هل يستطيع أحد أن ينكر أن الصين الشيوعية حقيقة قائمة ، وانها حقيقة كبرى ؟ قد لايرضى بعض الدول عنا ، ولكن هذا لايبدل من الحقيقة شيئا . وتغاضى الانسان عن الحقيقة لايؤثر فيها ، ولايمنعها من أن تظل حقيقة . والواقع ان الصين ليست مجرد حقيقة ، بل هى دولة كبرى . ومن المستبعد جدا أن يقع أى شيء يضعفها ، ومن ثم فان تجاهل هذه الحقيقة ليس مسلكا عمليا »

وفى يومى ١٧ و ٢٤ سبتمبر عام ١٩٥٣ ألقى نهرو، فى البرلمان الهندى ، خطابين ضافيين عرج فيهما على صلات الهند بالصين فقال : « ان علاقتنا بحكومة الصين (حكومة بكين) منذ اليوم الأول الذى ظهرت فيه هذه الحكومة الى الوجود ، كانت ودية على الدوام . وهى فى هذه اللحظة بالذات علاقات مودة ، وان كان هذا لايعنى اطلاقا رضاء الصين عن كل ما نفعله ، أو رضانا عن كل ما تفعله الصين ، بل اننا نسير فى طريقنا محاولين أن نتعلم من الصين أو روسيا أو أمريكا . والأمر لهذه الدول ، ان شاءت تعلمت منا »

لا تورط مع اى فريق

والخلاصة ان الهند تمتنع عن الانضمام الى اى من الكتلتين المتنافستين ، لأنها تؤثر الارتباط بالسلام ، والعدالة الدولية ، والعمل على تخفيف حدة التوتر فى العالم ، ولأنها تؤمن بأن عدم تورطها مع أى فريق يزيد من فائدتها فى مهمة التهدئة ، ويتيح لها حرية ومرونة فى سياستها الخارجية ، ولأنها بعد هذا كله ، لا تشك فى أن المعسكرين الدوليين يستطيعان أن يعيشا جنبا الى جنب ، وان الاختلاف فى المذاهب السياسية والمثل العليا لاينبغى ان يؤدى الى حرب عالمية أخرى

ومع أن هـذه السياسة أغضبت الطرفين فى أول الأمر ، فقد ظفرت ، فيما بعد ، بالاحترام والتقدير. واذا علمنا كيف تسنى للهنـد ، بسياستها السلمية الصادقة ، أن تصون الصلات الودية التى تربطها ببريطانيا والولايات المتحدة من جهة ، وبالاتحاد السوفييتى من جهة أخرى ، أدركنا الى أى حد وفق نهرو فى سياسته التى نسج فيها على منوال زعيمه الروحى المهاتما غاندى

الاستعمار تيرنح

سئل الدكتور « رالف بانش » مدير ادارة الوصاية في سـكرتيرية الأمم المتحدة : هل يستطيع التعليق على تسابق بعض الدول الكبرى في سبيل استعمار افريقيا ؟ .. فأجاب : « ان افريقيا والشرق الأوسط يمثلان في هذا الشأن، أكبر تحد تواجهه الأمم المتحدة. فقد بدا واضحا ان هذه المنطقة من العالم أصبحت محك الأمم المتحدة . وقد اتضح لي ذلك خلال رحلتي الأخيرة ، فقد حدثني الكثيرون في الهند والباكستان عن هذا الأمر الخطير . والمسألة ، في رأى هؤلاء ، لا تقتصر على الاستعمار وحده ، وانما هي كذلك مسألة عنصرية ، ولا شك عندى في ان نجاح الأمم

المتحدة أو فشلها يرتهن حتما بمعالجتها هذا الأمر الخطير »

ولو أن الدكتور « بانش » لم يكن مقيـدا بقيود المنصب الكبير الذى يشغله فى سكرتيرية الأمم المتحدة ، وهو منصب دولى يحتم عليه أن يكون لبقا محايدا ، لما تردد لحظة واحدة فى التنديد بالاستعمار ، والدعوة الى مكافحته بكل الوسائل المكنة ، لأنه يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة نصا وروحا ، ولقال معنا ان ثورة الشعوب الافريقية والأسـيوية لاعلاء كلمة الحق والحرية والكرامة ، واستئصال شأفة الاسـتعمار ليست أعظم ظاهرة سياسية فى هذا العصر فحسب ، بل هى كذلك السبب الحقيقى لما يعانيه العالم اليوم من قلاقل واضطرابات تزيد التوتر الدولى حـدة وشدة ، ومشاكل ملتوية معقدة تقف عقبة كأداء فى سبيل صون الأمن والسلام ، وتوطيـد أركانهما ، واقامتهما على دعائم قوية ثابتة لا تزعزها الأحداث

لقد وطن الافريقيون والأسيويون ، الذين عانوا الويلات تحت نير الاسـتعمار ، أنفسـهم على دق المسمار الأخير فى نعشه ، ونصرة قضية الحرية فى كل بلد مكبل بالاستعمار

وتقف الهند من الاستعمار موقفا يتفق وكفاحها الطويل المرير فى سبيل الاستقلال والحرية . لقـد

فقدت صلاتها المباشرة بجاراتها أثناء الحكم البريطانى ، وكانت ، فيما مضى ، تربطها علاقات وثيقة بالصين . وهذا الكلام ينطبق على علاقات الهند بأندونيسيا ، وسيام ، وبعض دول الشرق الأوسـط ، كايران والعراق ومصر

وما أن استقلت الهند فى الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٤٧ حتى شرعت حكومتها فى اعادة تلك العلاقات الى ما كانت عليه فى الماضى ، ولهذا عقد المؤتمر الأسيوى فى دلهى قبيل انتقال السلطة من الانجليز الى أيدى الهنود

مناهضة الاستعمار

وقد استردت الهند حريتها بعد أن ظلت فترة طويلة تناهض الاستعمار مناهضة شاقة ، وفى هذا تفسير للموقف الكريم الذى وقفته من مشكلة اندونيسيا ، والمسعى المثمر الذى قامت به لاقناع الحكومة الهولندية بضرورة الانسحاب من تلك البلاد

وفى هذا أيضا تفسير لاشتراك الهند فى المحاولات التى بذلت لادراج القضية التونسية فى جدول أعمال الأمم المتحدة ، ولاتخاذها موقفا نبيلا من القضية المراكشية

خطب « نهرو » فى الدورة التى عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى باريس خلال شهر نوفمبر من

عام ١٩٤٨ ، فشن على الاستعمار حملة شعواء ، ونده بمسلك الدول الاستعمارية ، وأشاد بالحركات الوطنية . وكان لذلك الخطاب صدى قوى ، بعيد المدى ، فى جميع أنحاء العالم

قال : « هناك جيران لنا فى آسيا تربطنا بهم صلات وثيقة ، ونحن ننظر اليهم بعين العطف ، وننظر الى جهادهم بعين العطف . ونرى ان أية دولة ، صغيرة أو كبيرة ، تقف حائلا بين هذه الشعوب وبين حريتها تخطىء فى حق السلام العالمى . ان الدول العظمى ، كالهند ، التى اجتازت مرحلة الاستعمار لا تسيغ ، ولا تستطيع أن تجيز بقاء دول أخرى تحت نير الاستعمار »

لغة الاستعمار

وقال فى البيان الذى ألقاه فى نقابة الصحفيين المصريين يوم ٢٥ يونية عام ١٩٥٣ :

« ان بعض بلاد أوربا الغربية التى كانت دولا استعمارية عظمى فى القرن التاسع عشر ، ما زالت تتكلم بلغة الاستعمار . ومع ان استعمار تلك الدول يمكن أن يعد ، فى الواقع ، جزءا من تاريخ مضى ، فانه قد يستمر كمجرد ذكريات تتعلق بها . لقد انقضى عصر ذلك الاستعمار وولى . ولا أقول انه لايحتمل أن يقوم نوع جديد من الاستعمار ، بيد ان النوع

القديم قد زال وانتهى . ولن أشير فى حديثى هذا الى أمثلة من هنا وهناك ، حيث يخوض الاستعمار حربا أسميها الدفاع عن المؤخرة ، فهو يقاتل ويتشبث بمراكزه هنا وهناك ، ولكنها معركة المؤخرة ، ذلك انه ، من الناحية التاريخية ، قد ولى وأدبر »

وطرق « نهرو » هذه المشكلة الخطيرة فى احدى جلسات البرلمان الهندى فقال :

« لا جدوى من أن يقال لنا ان علينا أن نؤيد بعض الدول الاستعمارية ، لأننا اذا لم نفعل ذلك سنتيح للشيوعية أن تنتصر . وجوابنا على ذلك هو انه مهما يكن ما يحتمل أن يحدث ، فانه حينما تنشط الحركات الوطنية فى مكان ما فالنتيجة الحتمية هى انكم اذا مضيتم فى تأييد سلطات الاستعمار هناك كان جزاؤكم وقوع أشياء ليست فى مصلحتكم على الاطلاق . هذه حقيقة مؤكدة قاطعة . وانه ليدهشنى أن أرى حكومات وأناسا أذكياء لا يعون هذا الدرس البسيط من دروس التاريخ ، ولا يفهمون عقلية الشعوب الأسيوية والافريقية اليوم »

لقد كانت الهند الى عهد قريب ، ضحية استغلال سياسى واقتصادى ، ومن ثم فهى تعطف عطفا عميقا خالصا على الشعوب التى تكافح لتحرر نفسها من القيود ، سواء أكانت سياسية ، أم اقتصادية ، أم

عنصرية ، وتعرب عن استعدادها للتعاون معها فيما تبذله من جهد لتهيىء لنفسها المكان الجدير بالشعوب الافريقية والأسيوية

وآية ما نذهب اليه أن « نهرو » تحدث فى سياق خطاب ألقاه منذ مدة عن شمال أفريقيا فقال :

« لقد حدثت أخيرا فى شمال أفريقيا تطورات مختلفة من التى اعتاد المرء أن يقرأ عنها فى تاريخ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ومن عجب أن تظل هذه الأمور فى منتصف القرن العشرين . نعم ربما يبدو أنها نجحت لفترة من الزمن ، ولكنى أشك كثيرا فى أن تؤدى سياسة كهذه الى حلول ناجحة »

العنصرية

ومما يتصل بالاستعمار الذى بدأ يترنح ، وأوشك أن يزول ، مسألة العنصرية التى تتمثل ، أكثر ما تتمثل ، فى اتحاد جنوب أفريقيا . وفى هذا يقول « نهرو » بحق :

« لقد أضحت هذه المسألة احدى المسائل الكبرى فى العالم ، ومحكا لعدالته ، اذ لايمكن أن يكون هنالك أدنى شك فى انه ، اذا سعى البعض الى تأكيد شرعية سياسة التمييز العنصرى ، أى سياسة الجنس الممتاز الذى يجب أن يسود الأجناس الأخرى ، فلا بد أن تظهر قوى أخرى فى هذا العالم تحارب هذه السياسة

حتى آخر رمق من حياتها . لقد انقضت تلك الأيام ودالت الى غير رجعة ، أيام كان الناس يتساهلون فى مثل هذه المبادىء النابية . ولهذا فبالرغم من أن هذه المسألة تبدو هادئة اليوم فانها قد تكون غداً من المشكلات التى ستهز عالمنا هذا هزا عنيفا مدمرا »

« وجهت الينا اتهامات بأننا نتدخل فى شؤون الدول الأخرى فى افريقيا ، كما اتهمنا بأن لنا مطامع استعمارية فى افريقيا ، للاستيلاء على تلك الأراضى الخصبة الرائعة التى يحتلها اليوم المستوطنون الأوربيون ، بينما يعلم هذا المجلس ، فى الحقيقة ، اننا تمسكنا دائما بسياسة فريدة فى نوعها ، أقول فريدة لأننى لست اعرف دولة أخرى أصرت على التمسك بمثل هذه السياسة على هذا النحو الغريب ، فقد أبلغنا شعبنا وأبناء جلدتنا فى أفريقيا وفى أفريقيا الشرقية وفى غيرها من المناطق الأفريقية بأن لايتوقعوا منا أية مساعدة أو ينتظروا منا أية حماية اذا كانوا يسعون للحصول على حقوق خاصة فى أفريقيا تضر بمصالح الشعب الأفريقى. سوف نساعدكم، وطبيعى اننا مهتمون بحمايتكم ، ورعاية كرامتكم ومصالحكم ، ولكن بشرط الا تعملوا ضد الشعب الأفريقى . وذلك لأنكم ضيوفهم واذا نفروا منكم فعليكم أن تخرجوا فى الحال »

دفاع عن حقوق مسلوبة

والواقع ان الملونين عامة ، والهنود بوجه خاص ، يكافحون فى تلك البلاد دفاعا عن حقوقهم المسلوبة ، ويعيشــون فى ظــل نظام أقل ما يقــال عنه انه غير ديموقراطى ، ويعاملون معاملة تنطوى على انتهاك صارخ لميثاق الأمم المتحدة

ويكفى للتدليل على ذلك ان « مالان » رئيس وزارة اتحاد جنوب أفريقيا ألقى فى غضون عام ١٩٤٨ ـ ولم يكن قد تولى الحكم بعد ـ خطابا أكد فيه أن حزبه ـ الحزب الوطنى ـ يؤيد سياسة التفرقة العنصرية ، وحماية الأوربيين ، لأنهم من الجنس الأبيض

وواضح ان فى هذه السياسة الاستعمارية نقضا للمادة الثالثة من ميثاق الأمم المتحدة ، وهى تنص على « احترام حقوق الانسان ، والحريات الاساسية للناس جميعا ، والتشجيع على ذلك اطلاقا ، بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين »

هذه السياسة تصطدم بالوعى القومى والنهضة الوطنية المشبوبة بين شعوب القارة الأفريقية الكبرى التى تجتاز مرحلة من التطور السريع والثوران

الهند والأمم المتحدة

ما الدور الذى تضطلع به الهند فى الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها ؟

لقد قبلت تبعات كبيرة فى الهيئة نفسها ، وفى كثير من المنظمات ، راجية أن يتسنى لها المساهمة ، بأوفر نصيب ممكن ، فى اقرار السلام ، وصون الأمن ، وكفالة الرفاهية والسعادة للبشرية

ولم يكن مسلك الوفد الهندى ، فى بعض الأحيان ، مرضيا لهذه الدولة أو تلك ، ولكن الهند تأبى الا أن تمضى فى طريقها ، وترفض أن تحيد عن السياسة التى رسمتها لنفسها قيد أنملة ، اذ لايخامرها شك ما فى ان الدول الأخرى الأعضاء ستدرك ، ان عاجلا

او آجلا ، ان هدفها الرئيسى بلوغ المثل العليا التى أنشئت الهيئة من أجلها ، والعمل مع الأمم الأخرى ، على دعم الصلات القائمة بينها ، وانها راغبة رغبة صادقة فى التعاون على انقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى ذاقت الانسانية الأمرين من جرائها فى جيل واحد ، وانها تؤكد ، مثلما تؤكد سائر الدول ، ايمانها بالحقوق الأساسية للانسان ، وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنســـاء ، والأمم كبيرها وصغيرها ، من حقوق متساوية ، وتتعهد بالتسامح ورفع مستوى الحياة فى جو من الحرية أفسح ، وضم قواها لصون السلم والأمن الدولى

التسابق فى التسلح

وتعتقد الهند اعتقادا جازما ان انقـــاذ العالم من أخطـــار الدمار الشـــامل لايمكن أن يتم بتخزين الأسلحة ، والتسابق فى صنع اسلحة جديدة أشد فتكا ، واكتشاف وسائل جديدة رهيبة للقضاء على البشرية

ولا تنسى الهند ان هذا التسابق فى اختراع الأسلحة الجديدة المدمرة ينطوى على بذور الفساد الخلقى ليس بين الأمم فحسب ، بل كذلك بين المواطنين فى كل أمة تشترك فى ذلك التسابق ، وآية ذلك أعمال التخريب والتجسس ، والبوليس السرى ، وخيانة الوطن

والهند تؤمن ايمانا لا حد له بتعاليم غاندى الذى وقف حياته على الدعوة للتعاطف ، والبعد عن الشر ، والامتناع عن العنف ، ومن ثم تبذل قصارى جهدها لتوفير العوامل الكفيلة بتحسين العلاقات بين الدول واقامتها على أسس من الود ، والصداقة ، والجيرة الطيبة ، واقرار السلام ، دون أن تضحى بالمبادىء الرئيسية التى يستند اليها ميثاق الأمم المتحدة

خطب نهرو فى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة فى باريس ، يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٨ فقال :

« انكم تعالجون مشاكل معقدة عسيرة ، ولا أريد المجازفة ، فى هذه المناسبة ، بأن أقول شيئا عن هذه المشاكل الكبرى التى تواجهونها ، ففى وسعكم أن تحملوا أعباء العالم وآلامه ، ولكنى كثيرا ما تساءلت : هل الطريقة التى تتبع عادة فى معالجة تلك المشاكل سليمة أم لا ؟ ان ميثاق الأمم المتحدة قد أوضح فى لغة نبيله ، مبادىء هذه الهيئة العظيمة وأغراضها . ولا أظن ان فى الامكان تحسين هذه اللغة »

« الأهداف واضحة ، وغايتكم واضحة . ومع ذلك ، عندما ننظر الى الغاية ، نشغل أنفسنا فى كثير من الأحيان بأمور صغيرة ، ناسين الغاية الرئيسية التى نتطلع اليها . وأحيانا يبدو أن سحبا تكتنف الغاية نفسها ، بينما تبقى أمامنا الأغراض الثانوية »

الوسيلة والغاية

« انى أمثل بلدا ظفر بحريته واستقلاله ، بعد كفاح طويل ، وان كان كفاحا سلميا . وخلال أعوام النضال الطويلة علمنا قائدنا العظيم الا ننسى ، ليس فقط أهدافنا ، بل كذلك الوسائل التى ينبغى لنا الاعتماد عليها لبلوغ تلك الأهداف، وكان يؤكد دائما انه لايكفى ان تكون هناك غاية سليمة ، بل ينبغى أن تكون الوسيلة المؤدية الى الغاية سليمة أيضا ، اذ ان أهمية الوسائل لا تقل عن أهمية الغايات »

« أرجو أن تسمحوا لى بأن أكرر هذا الكلام هنا ، لاننى مقتنع بأنه مهما تكن الأهداف سليمة ، سواء الأهداف الكبيرة التى تسعى اليها الأمم المتحدة ، أو الأهداف الثانوية التى نتطلع اليها من وقت الى آخر ، سواء كنا دولا متفرقة أو جماعات من الدول ، فمن الواجب علينا أن نذكر ان خير الأهداف قد يتعذر الوصول اليه اذا أغلقت الشهوات أعيننا وعقولنا »

« ومن ثم يصبح لزاما علينا أن نفكر فى الكيفية التى نعالج بها الأمور أكثر من تفكيرنا فيما نستهدفه ، وان كان ينبغى لنا ألا ننسى مطلقا الغاية التى نسعى اليها . وعلينا دائما أن نذكر المبادىء والأغراض التى أنشئت هذه الجمعية الكبرى من أجلها »

العنف يولد العنف

ومضى نهرو يقول :

« لقد أنشئت هذه الجمعية بعد حربين عالميتين ، ونتيجة لهما ، فما الدرس الذى لقنتنا اياه هاتان الحربان ؟ من المحقق ان هــذا الدرس هو أنكم لن تشيدوا صرح السلام عن طريق الحقد والعنف . ولكن فى هذا الكلام تناقضا . فقدعلمنا التاريخ الطويل، وتعلمنا من الحربين العالميتين اللتين نالتا من البشرية أشــد نيل ، ان الحقد والعنف لايولدان الا الحقد والعنف . اننا الآن فى داخل دائرة من الحقد والعنف ، ولن تخرجنا منها أبرع المناقشات الا اذا تطلعتم الى طريق أخرى ووسائل أخرى . وواضح انكم اذا بقيتم داخل هذه الدائرة ، ونشبت الحروب التى أنشئت هذه الجمعية لتجنبها ومنعها ، فلن تكون النتيجة خرابا مروعا يعم العالم فحسب ، بل سيؤدى الأمر كذلك الى عجز أية دولة أو جماعة من الدول عن بلوغ هدفها »

« فما هى الطريق التى ينبغى لنا أن نسلكها ؟ قد يكون من العسير أن نخرج هذا الحقد ، وهذا الأذى ، وهذا الخوف من عقولنا . ولكن ما لم نحاول سلوك هذه الطريق ، للتخلص من الخوف ، فلن يكتب لنا أى توفيق »

وقال نهرو فى البيان الذى ألقاه فى نقابة الصحفيين المصريين يوم ٢٥ يونية سنة ١٩٥٣ :

« لابد أن يكون بين أصدقائنا هنا من ذهب الى الأمم المتحدة ممثلا لبلاده أو صحفيا . ويقينى ان هيئة الأمم ، رغم الأخطـاء التى ارتكبتها ، منظمة كبرى ، وهيئة أساسية ، تستطيع الأمم أن تلتقى فيها ، وتتداول ، واذا شئتم تتخاصم أيضا . ولولاها لما كان عندنا ميدان مشترك ، ولذلك أعتقد ان وجود الهيئة أمر ضرورى وحيوى ، رغم اننى لست راضيا عن كل ما فعلته هيئة الأمم ، اذ أعتقد انها ضلت أحيانا سواء السبيل . وانكم اليوم لتجدون ان كثيرا من القضايا التى تعرض على الأمم المتحدة قلما تناقش حسب جدارتها ، ذلك لأن الدول هناك تفكر فى قرارة عقولها فى أمور كبرى ، فهى تفكر هكذا .. هل تكون هذه المسألة فى صالح الاتحاد السوفييتى أم فى صالح الدول الغربية ـ انهم لايفكرون فى كل مسألة حسب جدارتها ، ولهذا فان التى تقرر هى المشكلة الأخرى ، لا المشكلة المعروضة على بســاط البحث . واذا لم تذكروا هذا فلن تستطيعوا تفهم المصاعب التى تبرز الى الوجود ، ومن ثم فان أقوى حافز فى آســيا وأفريقيا ما زال الواقع المناهض للسيطرة الأجنبية . ولكننى أستطيع أن أضيف الى ذلك القوة المناهضة للتمييز العنصرى الذى رافق الســيطرة الأوربيــة

الاســتعمارية ، وشعور الأوربى الأبيض بتفوقه ، واستناده الى هذا الشعور فى تصرفاته »

صورة للعالم كما هو

وفى الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٥٣ القى « نهرو » فى مجلس الولايات بيانا قال فيه :

« .. والآن اذ نعرج على الأمم المتحدة ، نلاحظ أن بعضنا قد ينظر اليها بعين النقد ، أو يسخر منها ، اذا كان لى أن أقول ذلك ، ولكن هذا ، فى رأيى ، لايفيدكثيرا ، اذ من اليسير ابراز عيوب الأمم المتحدة ، أو الصعاب التى ينبغى لها ان تواجهها ، أو العقبات التى تعترض طريقها باستمرار . ان الأمم المتحدة لاتعدو كونها صورة للعالم كما هو ، صورة للدول ذوات السيادة كما هى اليوم . لكم اذن أن تلوموا العالم على تكوينه ، كما تلومون الأمم المتحدة »

ومضى يقول : « لنحاول التفكير فى الوسائل الكفيلة بتيسير مهمة الأمم المتحدة حتى يتسنى لها الاضطلاع بالمهام التى وكلها اليها الميثاق فى لغة نبيلة . لنفعل ذلك . لنعدل ـ اذا شئتم ـ ميثاقها ، اذا كان فى ذلك ما يعاوننا ، أو يعاون العالم . ولكن المسألة ، فى النهاية ، ليست مسألة تعديل ذلك الميثـاق ، بل مسألة معالجة مشكلات العالم التى تتمثل فى الأمم المتحدة . انه لمن حسن التمنى أن نتوقع حل كل

مشكلة بسرعة ، لكننا نرغب رغبة صادقة ملحة فى الاهتداء الى حلول لجميع مشاكل العالم »

الى أن قال : « لنمتنع عن الحكم علىالأمم المتحدة ، ولنمتنع عن خذلانها ، لأنها تصارع مشكلة ضخمة ، انها تصارع الطبيعة البشرية ، انها تصارع ما هو أسوأ .. تصارع طبيعة دول مستقلة تأبى أن تتخلى عن جزء من سيادتها . وما دام هذا موجودا ستظلون تواجهون صعابا من شتى الأنواع »

وكان للدور العظيم الذى اضطلعت به الهند فى الأمم المتحدة اثر قوى بعيد المدى فى نفوس أعضاء الوفود ، اذ اقتنعوا بأن للهند رغبة أكيدة فى أن تخدم مبادىء الأمم المتحدة ، وتساهم فى الجهود المبذولة لصون السلام ، ومن ثم وقع اختيارهم فى الخامس عشر من سبتمبر عام ١٩٥٣ على السيدة « فيجايا لاكشمى بانديت » أخت « نهرو » لرياسة الجمعية العامة فى دورتها الثامنة

واجب الأمم المتحدة

وقد ألقت فى تلك المناسبة خطبة جامعة حددت فيها ، بلباقة ، المهام الموكولة الى الأعضاء ، فقالت :

« ان واجبنا لايقف عند حد اعادة السلم عندما يتعكر صفوه ، بل يتعدى ذلك الى العمل على منع كل ما يتهدده . يجب أن نمضى فى محاولة الاهتداء

الى حلول عملية للأخطاء الرئيسية التى تهدد الاستقرار العالمى . ويجب أن نهتدى الى حلول سليمة ومرضية لمواجهة الدوافع المشروعة للقوميات الناهضة ، ولا نكتفى بعلاج موقف لايلبث أن يؤدى الى مزيد من الفشل ، واتساع نطاق العنف . يجب أن نجد حلولا للاحتكاكات العنصرية ، وأن نقاتل ضـــد كل تمييز عنصرى منظم غلف بغلاف من الشرعية . ويجب أن نهتدى الى وسائل لحل مشاكل الفقر والعوز ، وأن نبين ، بالعمل الناجع ، أن الرخاء والرضى لايتحققان بالحلول الجزئية . يجب أن نعمل على اســتبعاد أسلحة الدمار الشامل ، بدلا من أن نخترع أسلحة جديدة أشـــد فتكا . وأخيرا يجب أن نكشف عن الوسائل التى تتجه بالموارد الصـــناعية والبحوث العلمية وجهة السلام بدلا من وجهة الهلاك والدمار . يجب أن نتعلم كيف نتعاون تعاونا فعالا للمحافظة على السلام ، ورفع مستوى المعيشة بين شعوب العالم »

وفى أواخر شهر أكتوبر عام ١٩٥٣ أفضت السيدة « فيجايا » الى مراسل « الأهرام » الخاص فى مقر الأمم المتحدة بحديث استهلته بقولها :

« ما أشد الحاجة الى أن تسود الحكمة واصالة الرأى الفريقين المتنازعين على كوريا لحل هذه المشكلة العويصة الدقيقة ، ففى ذلك نصر للأمم المتحدة ،

وأمل فى عالم أفضل بالنسبة لأولئك الذين يعملون من أجل السلام »

ومضت تقول : « ان الشعوب تميل الى الحكم على المنظمات والهيئات بما تنجزه من أعمال ، ومن سوء الحظ ان صحف العالم معنية بأنباء الفشل ، ويندر أن تسمع منها شيئا عما يتم من الأعمال ، مع ان أعمالا على جانب من الأهمية قد أنجزت فى اللجان الخاصة ، ولكن الصحف العالمية لم تبرزها . والرأى العام ينتظر من الجمعية العامة أن تكون محط الأنظار، ولهذا طاش سهمه حين لم يشهد نجاحا »

التمسك بروح الميثاق

ثم قالت : « ان الأمم المتحدة تتألف من أفراد ، وهؤلاء لايتصرفون الا على نحو ما يتصرف الأفراد . ولو ان كل عضو تمسك بروح الميثاق ومبادئه ، بدلا من تقديم خدمات شفوية ، لدعمت الأمم المتحدة وكانت أقدر على الانتاج »

وأعربت السيدة « فيجايا » عن أسفها لأن السياسة أصبحت ذريعة وليست مبادىء ، ولهذا أهملت ، فى بعض الأحيان ، مسائل طال أمدها ، ولم تخف اغتباطها بجماعة الشعوب الافريقية الأسيوية لاخلاصها لمبادئها

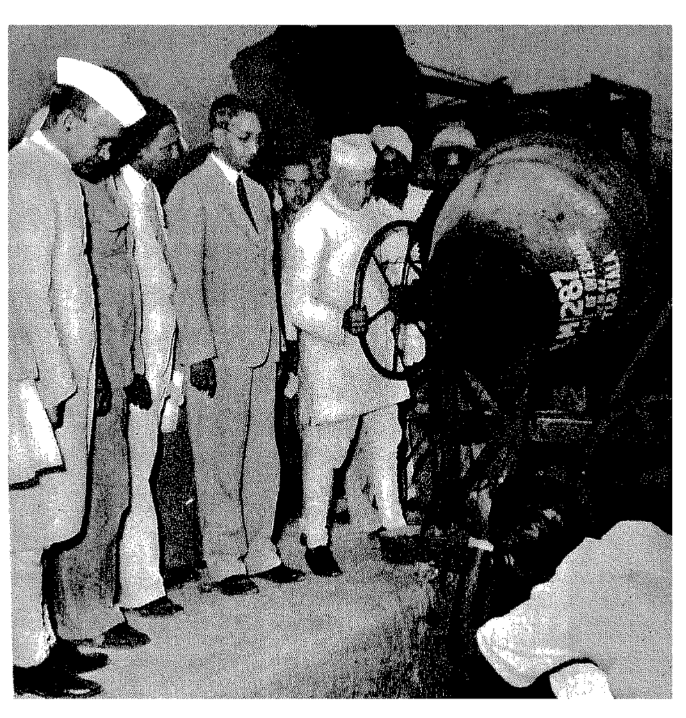
والواقع ان السيدة « فيجايا » خير من يستطيع

تمثيل الهند فى الأمم المتحدة ، واحتلال هذا المنصب الكبير الخطير ، فقد تشبعت بروح البعث السياسى التى اكتسحت الهند ، وكان أبوها « موتيلال نهرو » محاميا كبيرا ووطنيا يشتعل حماســة ، وكان كبار الساسة يهرعون اليه ، ثم الى جواهر لال من بعده ، يستمدون منهما النصح ، ويناقشونهما فى المسائل التى كانت تشغل الهند . وهكذا حينما أطلق المهاتما « غاندى » الدعوة الى الحرية كانت « فيجايا » قد بلغت من النضج ما أهلها لاستقبال الكفاح الذى كان ينتظرها

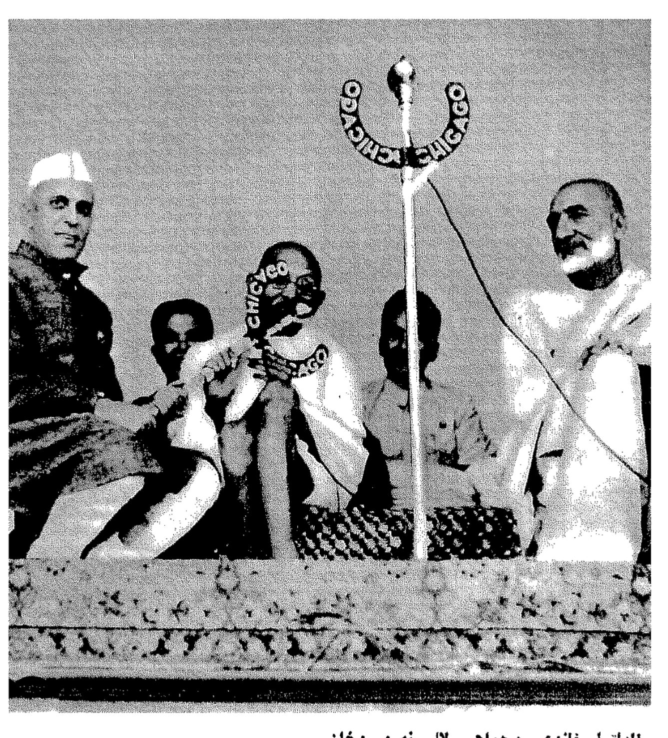
وبعد ، فهذه هى السياسة التى تتبعها الهند فى الأمم المتحدة ، ذلك المعترك الذى تتلاطم فيه الشهوات والمصالح الدوليــة ، وهى سياســة قوامها احترام مبادىء الميثاق نصا وروحا ، والمساهمة فى تمهيد الطريق الى سلام ثابت وطيد الأركان



نهرو مع شقيقته السيدة فيجايا لكشمي
بانديت رئيسة الجمعية العامة للامم المتحدة



نهرو يفتتح مشـروعا ضـخما فى اقليم
اوريسـا ... انه مشروع خزان هيراكود



المهاتما غاندى وجواهر لال نهرو وخان
عبد الغفار خان فى مؤتمر العلاقات الاسيوية
الذى عقد فى دلهى الجديدة سنة ١٩٤٧



انتجوا او اهلكوا ... هذا ما يقوله نهرو
فى كل مناسبة وهو فى هذه الصورة يقود
جرارا زراعيا ضخما ليبث روح التصنيع

الهند ومصر والشرق الأوسط

ترقى العلاقات التى تربط الهنـــد بمصر والعالم العربى الى أبعد العصور ، وكانت هذه العلاقات ، وما برحت مطبــوعة على الود والصـــفاء والتعاون الوثيق ، ولهذا وقف الشعب المصرى موقف التأييد القلبى المطلق من نضال الشعب الهندى ضد الاستعمار البريطانى الغشوم ، وكان المصريون يتتبعون ، عن كثب ، جهاد المهاتما غاندى ، ويعجبون أيما اعجاب بما أسماه « اهيمسا » أى عدم استخدام العنف ، يقصد من ذلك استنكار القوة المادية كوسيلة لبلوغ أى هدف من أهداف الحياة ، وايثار قوة الروح التى كان يؤمن ايمانا راسخا انها لابد ملاقية نجاحا فى نهاية الأمر

ولهذا أيضا وقفت الهند موقفا كريما نبيلا من أماني مصر القومية ، وحقها الطبيعى المشروع فى الاستقلال التام الذى لا تشوبه شائبة

ففى السادس من شهر يولية سنة ١٩٥٣ اجتمعت لجنة حزب المؤتمر الهندى لعموم الهند برياسة « نهرو » ، وأصدرت ، باجماع الآراء ، قرارا أيدت فيه مطالب الجمهورية المصرية « بالاعتراف بسيادتها التامة على أراضيها »

وجاء فى ذلك القرار ان اللجنة « تأسف لأنه لم يتيسر حتى الآن الاهتداء الى وسيلة لتسوية المنازعات فى بلدان الشرق الأوسط ، ولأن المتنازعين لم يلجأوا الى طريق المفاوضات . والموقف فى مصر مقلق بوجه خاص . فقد قامت هناك جمهورية جديدة ترحب بها هذه اللجنة أصدق الترحيب . وشعب مصر يطلب ، محقا ، الاعتراف بسيادته التامة على أراضيه . وترجو اللجنة أن تجرى مفاوضات لايجاد حل سلمى لمثل هذه المشكلات القائمة ، على أساس الاعتراف بسيادة مصر »

سياسة مناهضة الاستعمار

وهذا الموقف النبيل الكريم يتفق وسياسة مناهضة الاستعمار التى وضعها « نهرو » وجعلها احدى الأسس التى تستند اليها سياسة الهند الدولية .

وقد لقيت هذه السياسة موافقة اجماعية ، ذلك ان الهند كانت ، يوما ما ، ضحية استغلال سياسى واقتصادى عانت من جرائه الأمرين ، وحال دون سيرها فى ركب المدنية والحضارة ، بل لقد أوشك أن يخنقها خنقا

ولهذا تؤيد الهند ، تأييدا لا حد له ، الشعوب التى تناضل لتحرير نفسها من القيود والاصفاد ، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم عنصرية ، وترغب رغبة صادقة فى التعاون معها ، ومشاركتها فى الجهود التى تبذلها لتهيىء لنفسها المكان الجدير بالشعوب الافريقية والأسيوية

وفى الرابع عشر من شهر أغسطس أجاب « نهرو » على سؤال وجه اليه فى البرلمان الهندى فأكد وجهة نظر الهند فى النزاع المصرى الانجليزى حول قناة السويس

سئل الرئيس اذا كان يتفق مع وجهة النظر البريطانية عن قناة السويس كما جاءت فى البلاغ الصحفى الصادر على أثر ارفضاض مؤتمر رؤساء وزراء دول الكومنولث الذى عقد بلندن فى شهر يونية الماضى ، فأجاب :

« لقد وضع البلاغ الخطوط العريضة لاقتراحات معينة . وأهم هذه المقترحات هو أن الموضوعات

المعلقة فى الشرق الأوسط يجب أن تحل على أساس تأكيد السلام والأمن لدول الشرق الأوسط ، وبما يتفق مع سيادة كل منها ، ومع تطورها الاجتماعى والاقتصادى . كما يعترف البلاغ بالأهمية الدولية لقناة السويس ، والرغبة فى الابقاء على منشآت منطقة القناة » .

وأضاف الرئيس « نهرو » الى ذلك قائلا :

« وقد وافقت حكومة الهند على هذه المقترحات العامة . والنزاع الحالى بين مصر والمملكة المتحدة لا يتعلق بهذه المقترحات العامة بل بكيفية تفسيرها وتطبيقها . وليست حكومة الهند مرتبطة بأى تفسير أو تطبيق معين قد تراه الحكومة البريطانية ، وكانت ترى على الدوام ، ان أى اتفاق يجب أن يكون قائما على الاعتراف بسيادة مصر التامة ، وهذه الحقيقة مذكورة فى البلاغ المشار اليه »

وسئل « نهرو » فى مؤتمر صحفى عقد بدلهى الجديدة فى الثالث من نوفمبر عام ١٩٥١ :

« هل نستطيع أن نفهم انك تمنح تأييدك الأدبى للهدف الذى تقاتل مصر فى سبيله ؟ واذا كان الأمر كذلك ، هل أعربت عن تأييدك هذا بأية صورة من الصور ؟ »

فقال : « أما فيما يتعلق بالوطنية المصرية ، أى نمو الروح القومية ونحوها ، والمطالب التى تنادى بها ، فمن الواضح اننا نعطف دائما عليها ، ولكن هناك عدة أمور فى هذا الصدد . هناك مشكلة قناة السويس ، وهناك مشكلة السودان ، وغيرها من المشاكل التى تثير عدة أسئلة معقدة . خذوا مثلا مسألة السودان . ليس من رأينا ان تسيطر على السودان أو أى بلد آخر أية قوة أجنبية . اما ماذا ينبغى للسودان ان يفعل فهذا من شأن السودانيين اولا ، وهو بالطبع أيضا من شأن الآخرين ولاسيما مصر لاعتبارات كثيرة منها مياه النيل »

ـ الا ترى ان استقدام قوات بريطانية جديدة الى منطقة قناة السويس يعد اجراء حربيا ؟

ـ ان استخدام أية قوات مسلحة يعد بالطبع اجراء حربيا . ولكنى لا أظن ان أي عدد من الجنود يستطيع أن يحل المشكلة

ـ ولكن أليس هذا اجراء حربيا ؟

ـ اذا استخدمت الجنود فان هذا يصبح اجراء حربيا

ـ ما رأيك فى المقترحات التى تقدمت بها بعض الدوائر ، وبمقتضاها يصبح هذا الممر المائى الدولى تحت رقابة الأمم المتحدة أو بعض أعضاء الهيئة ؟

ـ لا أدرى ماذا تعنى ببعض الأعضاء . اننا نعود هكذا دائما الى مبدأ الوصاية أو نحوها ، وهو مبدأ خطير . ولكن اذا تهيأت السلطة الدولية الصالحة ـ خذ مثلا مسألة الأنهار ـ فحيث تمر الأنهار فى بلد أو بلدين توجد عادة سلطة دولية ، قوامها الدول المعنية بأمر هــذه الأنهار لرقابة المرور ونحوها ، وقياسا على هذا لا أرى ما يمنع من أن تكون قناة السويس تحت سيادة مصر التامة ، من الناحيــة السياسية ، ومع ذلك توضع لها ترتيبات دولية ، بواسطة الدول التى يعنيها الأمر ، بحيث تقوم مصر طبعا بدرو هام ، وبحيث لايكون هناك أدنى مساس بسيادتها القومية

الهند والشرق الأوسط

ونعرج الآن على العلاقات بين الهند والشرق الأوسط فنذكر ان نهرو أجاب فى مؤتمر صحفى على سؤال بشأنها فقال :

«لانريد أن نقف موقف الزعامة فى الشرق الأوسط ، أو فى أى مكان آخر من العالم . وعلى الرغم مما قد يقوله بعض الناس ، لا نريد أن نضطلع بدور الزعامة فى أى مكان فى العالم . ان الدور الذى نريده هو دور الزمالة الودية القائمة على الصداقة مع الدول الأخرى . ان ثمة مشاكل عديدة فى أماكن أخرى من العالم ،

ونحن بطبيعة الحال نفكر فيها ، ونعطف على فريق أو آخر فيما يتصل بمشكلة أو أخرى ، ولكن من الصعب جدا التدخل فى كل مشكلة . والتدخل يتعارض مع سياستنا ، فقد اتضح لنا ان التدخل يؤدى عادة الى الاضطراب أكثر مما يؤدى الى اسداء العون »

وعرض «نهرو» للشؤون العالمية فى نقابة الصحفيين المصريين فى الخامس والعشرين من شهر يونية عام ١٩٥٣ ، فلما سئل هل يعتقد أن ثمة ضرورة تستدعى ايجاد ميثاق لدول الشرق الأوسط ، قال : « ان أمر هذا الميثاق متروك لتقرره الدول التى يعنيها الأمر . وأقول ، متحدثا بلسان الهند ، اننا لن ننضم الى أى ميثاق فى أى مكان »

ثم قال :

« ان سياستنا فى الهند ، كما تعرفون ، هى الا نربط أنفسنا بأية تجمعات دولية ، بل أن نحاول ايجاد علاقات ودية مع جميع الدول . وطبيعى أن تكون بعض هذه العلاقات أكثر ودا مع البعض منها مع البعض الآخر ، ولكنها ودية مع جميع الدول . والآن اقول ان بعض الناس فكروا ، فيما مضى ، فيما

يسمونه كتلة ثالثة . ولكنى أجرؤ فأقول ان هذه الخطوة ليست خطوة صحيحة ، فأنا لا أحب الكتلة الأولى ولا الكتلة الثانية فلماذا يجب أن أحب الكتلة الثالثة ؟ ».

« ولكنى رأيت أن الخطوة الصحيحة هى وجود منطقة ثالثة ، لا تربط نفسها بالحرب . وأظنه من صالح الدول التى يهمها الأمر ، وصـالح العالم فى مجموعه ، ان يتسع نطاق هذه المنطقة الثالثة ، إلتى أسميها المنطقة اللاحربية ، فهى ستكون قوة هائلة . ويكون لها نفوذ هائل لخيرالسلام وصالحه . أما كيف تنشأ فلست أعتقد انها يجب أن تخلق بالمعاهدات والأحلاف الرسمية ، لأنك حالما تتحدث عنها من ناحية الرسميات ترتد الى فكرة الكتلة . ولهذا فهى فى الحقيقة مسألة غير رسمية ، وهى تعاون ودى ، وتفهم كل منا لوجهة نظر الآخر . قد نعمل ذلك فى الأمم المتحدة ، وقد نعمله خارجها »

ويطيب لنا أن ننوه فى ختام هـذا الفصل ، مرة أخرى ، بموقف حزب المؤتمر الهنـدى الى جانب التحرر من الاسـتعمار ، وتأييـده الدائم المطلـق للمساواة السياسية ، وتأكيده فى كل مناسـبة أن

انكارهما مسألة على أعظم جانب من الأهمية بالنسبة اليه ، لاعتقـاده انه لايمكن أن يؤدى الا الى صراع عنصرى رهيب ، قد يشمل افريقيا من أقصاها الى أقصاها ، كما يؤثر تأثيرا قويا فى شعوب تعيش فى بقـاع اخرى من العالم ، وان أى تأييـد للسـيادة العنصرية ينبغى أن يقابل حتما بكل مقـاومة ، اذ لايستطيع مجتمع مستقر سلمى أن يقوم على مبدأ السيادة العنصرية أو الاستعمارية

فهرس

أهم المراجع

— Jawaharlal NEHRU:
AN AUTOBIOGRAPHY

— Jawaharlal NEHRU:
Glimpses of World History

— Independence and after:
Speeches of J. NEHRU

— P. D. TANDON:
Nehru Your Neighbour

— India in 1952:
A collection of articles contributed by different writers.

— D. R. Mankekar:
Prime Minister NEHRU:
Revolutionary Turned Statesman
(The Illustrated Weekly of India)

— John Gunther:
Inside Asia.

جريدة « الاهرام » الغراء — « العالم »

جريدة « الاهرام » فى خدمة التجارة والصناعة

(عدد خاص عن الهند وصناعاتها)

كتب أخرى للمؤلف

تراجم موجزة	نفد
فرويد والتحليل النفسى	»
من مشكلات العصر الحديث	»
قوى كالموت : مترجمة عن الفرنسية لجي دى موباسان	»
هنرى الرابع : مسرحية للكاتب الايطالى لويجى بيرانديللو : مترجمة بالاشتراك مع الاستاذ محمد أمين حسونة	

تحت الطبع

اعرف نفسك بنفسك

ستالين وخلفه والستار الحديدى

صور من الحياة فى أمريكا

الحرب الباردة

طبع بمطابع دار الهلال بالقاهرة



الرئيس نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة
في رحلة على ظهر الباخرة (محاسن) مع
سري نهرو أثناء زيارته لمصر



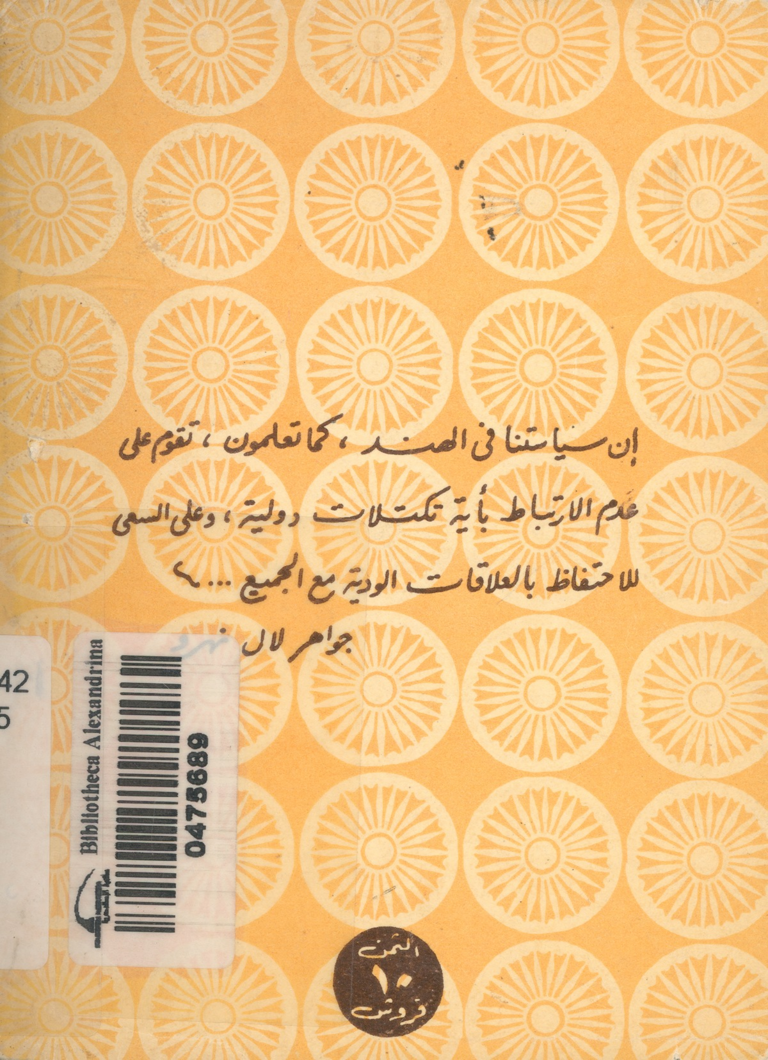
على ظهر الباخرة « محاسن » ... الرئيس محمد نجيب وشرى نهرو واللواء عبد الحكيم
عامر وقائد الجناح عبد اللطيف بغدادى والدكتور محمود فوزى وزير الخارجية ويرى
فى الصورة السردار بانيكار سفير الهند فى مصر واقفا خلف جواهر لال نهرو



الرئيس نجيب يتوسط نهرو ومحمد علي . وهم يحيون الجماهير من شرفة القصر الجمهوري . ويرى معهم السيد ظفر الله خان والبكباشي أركان الحرب جمال عبد الناصر

نرى نهرو ومولانا أبو الكلام ازاد وزير معارف الهند ، والقاضي محمد العمري رئيس الوفد اليمني في حفلة استقبال أقامها نهرو خلال شهر يناير عام ١٩٤٩ في دلهي الجديدة





Bibliotheca Alexandrina
0475689